بسم الله الرحمن الرحيم

أدوات التعليـــل

في ضوء الأسلوب القرآني

والإستعمال اللغوي

دكتـــورة

خديجة أحمد محمد عويعة

مدرس بقسم اللغويـــات

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق رسول الله خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــــــد :

فقد عرف العرب لكل اسم دلالة أصلية ، وتوسعوا فى معناها ، فجعلوا لها كثيراً من الدلالات الفرعية ، وليس ذلك بقاصر على الأسماء وحدها ، بل إن الأفعال والحروف قد شاركت الأسماء هذا الأمر . والذى غلب على فكر كثيرين افتقار الكلمة على معنى واحد ناسين دلالتها على معانى أخرى بحسب اختلاف السياق .

وهذا البحث يعالج دلالة " التعليل " لبعض الحروف بعد الإشارة على عجل للدلالة الأصلية التى يدل عليها الحرف . وكان العمدة فى الاستشهاد والتحليل والترجيح هو النص القرآنى ومأثر العرب اللغوية وآراء أئمة النحاة والتفسير .

وقد حرصت على أن يكون هذا البحث امتداداً للبحث السابق " العلة فى نظر النحاة " والذى تناولت فيه مفهوم العلة ودلالتها فى اللغة والاصطلاح والفرق بين العلة والسبب وأقسام العلة ، والجانب التاريخى للعلة عند النحاة ، ثم عرضت نماذج لبعض تعليلات النحاة .

والله من وراء القصد . والحمد لله رب العالمين .

أدوات التعليل

فى ضوء الأسلوب القرآنى والاستعمال اللغوى

أولاً : مفهوم التعليل لغة واصطلاحاً :

التعليل لغة : مصدر " علل " مأخوذ من العَلّ مصدر " علَّ " ، ويقال علَّه يعله إذا سقاه السقية الثانية ، وتعلل بالأمر واعتل تشاغل ، وعلله بالطعام شغله ولهاه به ، وهذا علة لهذا أى سبب " (١) .

وفى ذلك يقول صاحب تاج العروس : " وعلَّه ويعلّه علا وعللا ، وأعله سقاه ثانية ، وتعلل بالأمر أى تشاغل أو تعلَّل به تلَهى وتجزأ كما فى الصحاح كاعتل ، وعلله بطعام وغيره تعليلا شغله به كما تعلل المرأة حبيبها بشىء من المرق ونحوه ليجزأ به عن اللبن . وفى المحكم لابن سيده : وهذا علة لهذا أى سبب له .

وفى حديث عائشة (٢) – رضى الله عنها – فكان عبد الرحمن يضرب رجلى بعلة الراحلة أى بسببها .... " (٣) .

وفى المعجم الوسيط : " علل الرجل سقاه ثانية أو تباعاً ، وعلل فلان سقى سقيا بعد سقى ، والثمرة جناها مرة بعد أخرى ، وعلل فلاناً بطعام وغيره شغله به ولهاه ، والشىء بيَّنَ علته وأثبته بالدليل " (٤) .

وقال الزمخشرى : " علَّل سقوا إبلهم علاً بعد نَهَل – بفتح النون والهاء –

---

(١) لسان العرب مادة " علل " بتصرف .
(٢) صحيح مسلم : ك الحج حديث رقم ١٣٤ .
(٣) تاج العروس مادة علل : ٣٢/٨ بتصرف .
(٤) المعجم الوسيط : ٦٤٦/٢ مادة علل باختصار .

وعللت الناقة حلبتها صباحاً ومساء وظهرا ، ومن المستعار عله ضرباً إذا تابع عليه الضرب [1] .

فالملاحظ من أقوال أهل اللغة أن التعليل يطلق على معان متعددة فى اللغة :

الأول : هو السقية الثانية .

الثانى : الشَغْل والتلهية .

الثالث : السببية .

وقد اتفق علماء العربية على أن الأصل الذى يجب التمسك به هو تفسير اللفظ بمعناه الحقيقى ، وإنما يصار إلى المجاز لضرورة الاتساع ، أو التوكيد ، أو التشبيه ، فإن عُدمتَ هذه الأوصاف كانت الحقيقة ألبتة [2] .

والذى يبدو لى أن اطلاق لفظ التعليل على السقية الثانية هو المعنى الأصلى لهذه المادة ، وأما التلهية والسببية فهما من باب الاتساع ، والدليل على ذلك : أن هذا المعنى أعنى السقية الثانية قدر مشترك بين المعنيين الآخرين والمعنى الأول . والذى حاصله التكرار ، وذلك أن الشغل يكون من التلهية المرة بعد المرة ، وكذلك علة كذا بمعنى سبب كذا يكون التكرار فيه مستفاداً من سقاه مرة بعد مرة ، فالمعنيان الآخران من باب الاتساع بمعنى أننا أطلقنا التعليل عن كونه سقياً إلى مجرد ما فيه من التكرار .

والتعليل في الاصطلاح :

هو تبيين علة الشيء [3] كالاستدلال ، وقيل : الانتقال من العلة إلى المعلول يسمى تعليلاً .

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى ص ٤٣٣ مادة علل .
(٢) الخصائص لابن جنى : ٤٤٤/٢ والمزهرللسيوطى : ٢٠٧/١ .
(٣) مقدمة شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل مسالك التعليل للغزالى ص ٣ .

فتبيين علة الشيء بمعنى ذكر سببه ، هو بعينه المدلول اللغوى للكلمة على ما سبق بيانه فى اللغة .

وذكر الجرجانى فى كتابه التعريفات أن التعليل : هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر . وقال : " التعليل فى معرض النص [1] : ما يكون الحكم بموجب تلك العلة مخالفاً للنص كقول ابليس ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [2] .

ثم فرق الجرجانى بين التعليل والاستدلال فقال : " التعليل هو انتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر كانتقال الذهن من النار إلى الدخان ، والاستدلال هو انتقال الذهن من الأثر إلى المؤثر ، وقيل : التعليل هو إظهار علية الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة ، والصواب أن التعليل هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر ، والاستدلال هو تقرير ثبوت الأثر لإثبات المؤثر . وقيل : الاستدلال هو تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر ، أو العكس ، أو من أحد الأثرين إلى الآخر " [3] .

والتعليل فى القرآن الكريم هو ما يترتب على الفعل من نفع أو ضرر ، ومن يتأمل تعليلات القرآن الكريم يجدها منسجمة مع المعنى اللغوى الذى هو بيان علة الشيء . ومتى وجد المعنى المعلل به عرف الحكم .

ومن المعلوم أن التعليل معنى من المعانى والأصل فيه أن يدل عليه بالحروف كبقية المعانى ، لكن قد تدل الأسماء على التعليل بدلاً من الحروف فما يدل عليه منه حروف - وهو الأصل - ومنه أسماء .... .

---

(١) التعريفات للجرجانى : ص ٦١ دار الكتب العلمية بيروت .
(٢) البقرة ٣٤ .
(٣) التعريفات للجرجانى ص ٦١ .

فالحروف مثل " كى واللام والباء وغيرها ، والأسماء مثل : علة وسبب وغير ذلك . وهذا يسمى بأداة التعليل .

فأداة التعليل : هى ما أفاد التعليل بوجه من الوجوه سواء أكان حرفاً أم اسماً .

ثم إن من أدوات التعليل ما لا يستعمل إلا فى إفادة التعليل بمعنى أنه إذا اطلق لا يحتمل غير التعليل ، إذ لم يوضع لمعنى آخر حتى يحمل عليه ، ولم يسبق استعماله فى معنى آخر على سبيل المجاز حتى يكون محتملاً له .

ومنها ما يستعمل فى إفادة التعليل مع احتماله إفادة معانٍ أخرى غير التعليل .

✪ فالذى لا يستعمل إلا فى إفادة التعليل : ما صرح فيه بكون الوصف علة أو سبباً ، وذلك كما لو قيل : " العلة كذا أو السبب كذا " [1] .

✪ والذى يستعمل فى إفادة التعليل مع احتماله إفادة معانٍ أخرى كثير منها كى ، اللام ، الباء ، إذ ، حتى ... وغيرها من الأدوات وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على ارتباط المعنى الفرعى الذى تؤديه الحروف بالمعنى الأصلى الموضوع لها فى الاستعمال اللغوى . وهذا ما يتضح من خلال البحث .

كي ودلالتها علي التعليل :

للنحاة فى " كى" مذاهب * :

المذهب الأول : وينسب إلى الخليل الذى يرى أن " كى " حرف جر [2] فى جميع استعمالاتها يفيد التعليل ، وقيل هو مذهب الأخفش .

---

(١) الأحكم للآمدى : ٢٥٢/٣ . (*) انظر هذه المذاهب فى الجنى الدانى ص٢٦٤ .

(٢) فـ " كى" الداخلة على الفعل المضارع حرف جر ومجروره هو المصدر المؤول من أن المضمرة والفعل . ذلك لأن الخليل يقول لا ينتصب فعل إلا بـ " أن " مضمرة أو مظهرة " وبهذا لا يجعل " كى " ناصبة بنفسها بل هى حرف جر . راجع المقتضب : ٦/٢ وشرح الكافية للرضى ٢٢٢/٢ .

والمذهب الثانى : وينسب إلى جمهور البصريين الذين يرون أنها حرف مشترك أى يستعمل حرف جر ويستعمل حرفاً ناصباً للمضارع فيكون مصدراً .

والمذهب الثالث : وهو رأى الكوفيين الذين يرون أن " كى " حرف مصدرى ناصب للفعل المضارع بنفسه .

و" كى " على مذهب البصريين لها ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن تكون حرف تعليل ، فتكون بمنزلة اللام معنى وعملاً . قال ابن يعيش : " أما " كى" فحرف معناه العلة والغرض . من ذلك أنك إذا قلت قصدتك كى تثيبنى ، فهم من ذلك أن الغرض إنما هو الثواب وهو علة لوجوده .."[1]

ويتعين أن تكون " كى" تعليلية جارة فيما يأتى :

(١) إذا دخلت على " ما " الاستفهامية نحو " كيمه " بمعنى " لمه " قال سيبويه : " وذلك أنهم يقولون : كيمه فى الاستفهام فيعملونها فى الأسماء كما قالوا : حتى مه وحتى متى. ولمه ؟ وقال : ومن قال : كيمه جعلها بمنزلة اللام "[2] .

وقال المالقى : " أن تكون حرفاً جاراً نحو قولهم إذا استفهموا عن شىء : كيمه ؟ أى لأى سبب فعلت ، أو لأى علة فعلت ، فمعناها السببية كمعنى اللام ذلك إذا قالوا : لم جئت ؟ ونحوه "[3] .

ولم يسمع جرها لاسم صريح غير "ما " الاستفهامية .

(٢) إذا دخلت على" ما " المصدرية تعين كونها تعليلية كقول الشاعر :

---

(١) شرح المفصل : ١٤/٩ .
(٢) الكتاب : ٦/٣ .
(٣) رصف المبانى : ٢١٥ .

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما ∴ يرجى الفتى كيما يضر وينفع

أى لضر من يستحق الضر ولنفع ، فـ " ما " مصدرية وهى وصلتها فى موضع جر بـ " كى " [1] .

(٣) أن تدخل على " أن " المصدرية مضمرة نحو : جئت كى أتعلم ، وإضمار " أن " بعدها واجب عند الخليل وسيبويه والبصريين ، ولا تظهر إلا فى ضرورة الشعر . قال سيبويه : " واعلم أن " أن " لا تظهر بعد حتى وكى كما لا يظهر بعد أما الفعل فى قولك : أما أنت منطلقاً انطلقت ، واكتفوا عن إظهار أن بعدهما بعلم المخاطب أن هذين الحرفين لا يضافان إلى فعل وأنهما ليسا مما يعمل فى الفعل ، وأن الفعل لا يحسن بعدهما إلا أن يحمل على " أن " فـ " أن " ههنا بمنزلة الفعل فى " أما " وما كان بمنزلة أما مما لا يظهر بعده الفعل فصار عندهم بدلاً من اللفظ " [2] .

وقال ابن يعيش : " وإذا كانت حرف جر فالفعل بعدها ينتصب بإضمار أن كما يكون كذلك مع اللام فى نحو قولك قصدتك لتكرمنى والمراد لأن تكرمنى ...

والذى يدل على ذلك – أى إضمار أن بعدها – أن الشاعر قد أظهر أن لما اضطر إلى ذلك [3] . قال جميل :

فقالت أكُلُّ الناس أصبحت مانحاً ∴ لسانك كَيْما أن تَغُرَّ وتخدعا[4]

فظهور " أن " بعد كى الجارة ضرورة شعرية .

---

(١) شرح الكافية الشافعية لابن مالك تحقيق د / عبدالمنعم هريدى: ٧٨٢/٢ والبيت من شواهد شرح التصريح :٣/٢ ، وشرح الأشمونى بحاشية الصبان : ٢٨٤/٣ .

(٢) الكتاب : ٧/٣ .

(٣) شرح المفصل : ١٤/٩ .

(٤) البيت من شواهد شرح المفصل : ١٤/٩ ، وشرح الكافية للرضى : ٢٢٢/٢ ، وأوضح المسالك : ١٢١/٢ ، والأشمونى بحاشية الصبان ٢٨٤/٣وخزانة الأدب : ٤٨١/٨ وغير ذلك .

(٤) أن تقع بعدها اللام كقول الشاعر :

كى لتقضى رقية ما ∴ وعدتنى غير مختلس [١]

واستشهد المرادى بقول الشاعر :

كادوا بنصر تميم كى ليلحقهم ∴ فيه فقد بلغوا الأمر الذى كادوا [٢]

وقال : " ولايجوز أن تكون " كى " ناصبة فى هذا البيت لفصل اللام بينها وبين الفعل ، ولا زائدة لأن " كى" لم يثبت زيادتها فى غير هذا الموضع فيتعين أن تكون جارة واللام تأكيد لها ، و" أنْ " مضمرة بعد اللام " [٣] .

الحالة الثانية :

ويتعين فى " كى " أن تكون مصدرية ناصبة للفعل المضارع بعدها وذلك إذا دخلت عليها اللام وليس بعدها " أن " سواء ظهرت اللام أو قدرت .

قال ابن هشام : " أن تكون بمنزلة " أن " المصدرية معنى عملاً وذلك نحو ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ [٤] ويؤيده صحة حلول أن محلها ، لأنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل " [٥] .

فوجه كونها مصدرية ناصبة أن حرف الجر لا يدخل على مثله .

---

(١) قائله : عبد الله بن قيس الرقيات وهو من شواهد عدة السالك : ١٥١/٤ وهمع الهوامع : ٥٣/١ ؛ وشرح الأشمونى : ٢٨٥/٣ .
(٢) نسبه السيوطى فى همع الهوامع إلى الطرماح بن حكيم : ٥/٢ .
(٣) الجنى الدانى للمرادى ص ٢٦٤ .
(٤) سورة الحديد آية : ٢٣ .
(٥) مغنى اللبيب لابن هشام : ١٥٦/١ .

الحالة الثالثة :

أن تكون محتملة الوجهين ، فتكون صالحة لأن تكون تعليلية جارة أو مصدرية وذلك إذا دخلت عليها اللام ، ووليها " [1] أن " كقول الشاعر :

أردت لكيما أن تطير بقربتى ∴ فتتركها شنا ببيداء بلقع [2]

فـ " كى " تحتمل أن تكون مصدرية لدخول اللام قبلها ، وتحتمل أن تكون تعليلية لتأخر " أن " بعدها ، فإن كانت مصدرية فـ " أن " مؤكدة لها لمعنى السبك ، وإن كانت تعليلية فاللام مؤكدة بها لمعنى التعليل . وكونها تعليلية جارة أولى من كونها مصدرية ناصبة ؛ لأن تأكيد الجار بجار أسهل من تأكيد حرف مصدرى بحرف مصدرى " [3] ففى هذا الموضع يترجح كون " كى" تعليلية مرادفة اللام على كونها مصدرية مرادفة لـ " أن " لأمور هى :

(١) أن "أن " أم الباب ، فلو جعلت مؤكدة لـ " كى " لكانت " كى " هى الناصبة فيلزم تقديم الفرع على الأصل .

(٢) ما كان أصلاً فى بابه لا يكون مؤكداً لغيره .

(٣) أن " أن " لاصقت الفعل فترجح أن تكون هى العامل [4].

* وتحتمل " كى" الوجهين أيضا - كونها حرف تعليل وكونها حرفاً مصدرياً - إذا جاءت منفردة عن اللام وأن ، نحو : جئت كى تكرمنى .

---

(١) راجع شرح الكافية للرضى : ٢٢٣/٢ وتسهيل الفوائد لابن مالك ص ٢٣٠ والجنى الدانى ص ٢٦٥ ومغنى اللبيب : ١٥٧/١ وشرح التصريح على التوضيح : ٢٣١/٢ .

(٢) هذا البيت من شواهد الإنصاف تحقيق الشيخ محى الدين ٥٨٠/٢ وشرح المفصل ١٩/٧ ، والتصريح على التوضيح ٢٣١/٢ وخزانة الأدب : ٤٨٤/٨ وغير ذلك .

(٣) شرح التصريح على التوضيح : ٢٣١/٢ .

(٤) شرح الأشمونى بحاشية الصبان : ٢٨٤/٣ ، ٢٨٥ .

وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ [1] وقوله : ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ [2] .

قال المالقى : " فإن لم تدخل عليها اللام احتملت أن تكون الأولى الخافضة المقدرة باللام ، فتنصب ما بعدها بإضمار " أن " ، وأن تكون الثانية الناصبة المقدرة بـ " أن " نحو جئتك كى تكرمنى " [3] هذا هو مذهب البصريين الذين يرون أن " كى " حرف مشترك فيعمل الجر فيما بعده باعتباره حرف تعليل ، ويعمل النصب فيما بعده باعتباره حرفا مصدريا .

* أما قول الكوفيين " إن كى حرف ناصب مثل " أن " فى جميع استعمالاتها فمردود عليه ، وقد أفاض الأنبارى [4] فى إبطال رأى الكوفيين مضعفاً كل دليل استندوا عليه . وأرى أن المقام لا يتسع هنا لذكر رأى الكوفيين مفصلاً وأدلتهم والرد عليه ، لضعف هذا المذهب ، فمن شاء الرجوع إليه فعليه بأمهات الكتب والمراجع .

* والذى يبدو لى من هذه المذاهب الثلاثة : أن " كى " حرف مشترك فيكون تارة حرف جر يفيد التعليل وتارة أخرى حرف مصدرياً . حيث عقب عليه المرادى بأنه هو الصحيح [5] ، وكذلك لقول السيوطى : " والصحيح وهو مذهب سيبويه فى كى أنها حرف مشترك فتارة تكون حرف جر وتارة تكون حرفاً مصدرياً ينصب المضارع بنفسه " [6] .

---

(١) سورة طه آية : ٤٠ .
(٢) الحشر آية : ٧ .
(٣) رصف المبانى ص ٢١٦ .
(٤) الإنصاف فى مسائل الخلاف : ٥٧٤/٢ ومابعدها .
(٥) الجنى الدانى ص ٢٦٤ .
(٦) الأشباه والنظائر : ٣٠١/٢ .

وليس فقط المعول على ترجيح هذا المذهب أقوال العلماء ، وإنما باستقراء وتتبع الآيات القرآنية – قدر الطاقة – فوجدت أنه ليس فى القرآن الكريم من " كى " ما هو نص فى التعليل .

وإنما الذى وقع فى القرآن منها ما هو : إما نص فى المصدرية كالذى دخلت عليه لام الجر فى نحو قوله تعالى : ﴿ لكي لا تأسوا علي ما فاتكم ﴾ [1] وقوله : ﴿ لكيلا تحزنوا علي مافاتكم ﴾ وقوله : ﴿ لكي لا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ [2] وقوله ﴿ لكي لا يكون علي المؤمنين حرج ﴾ [3] قوله : ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ [4] .

وإما ما هو محتمل للأمرين – أعنى التعليل والمصدرية وذلك كـ " كى " المنفردة عن لام التعليل وأن المصدرية نحو قوله تعالى﴿ كي نسبحك كثيراً ﴾ [5] وقوله : ﴿ كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ وفى آية أخرى ﴿ فرددناه إلي أمه كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ [6] وقوله : ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء ﴾ .

وفى ضوء ما سبق بيانه يثبت صحة القول بأن " كى " حرف مشترك يفيد التعليل أو يفيد المصدرية . وهذا ما اعتقد صوابه .

---

(١) آل عمران آية : ١٥٣ .
(٢) النحل آية : ٧٠ .
(٣) الأحزاب آية : ٣٧ .
(٤) الأحزاب آية : ٥٠ .
(٥) سورة طه آية : ٣٣ .
(٦) القصص آية : ١٣ .

اللام ودلالتها على التعليل

وضعت اللام فى أصل استعمالها اللغوى لمعنى الملك واستحقاق الشىء .

قال سيبويه :« ولام الإضافة ومعناها الملك واستحقاق الشىء . ألا ترى أنك تقول الغلام لك والعبد لك فيكون فى معنى هو عبدك وهو أخ له ، فيصير نحو هو أخوك ، فيكون مستحقاً لهذا كما يكون مستحقاً لما يملك . فمعنى هذه اللام معنى إضافة الاسم »[1] .

وقد اقتصر بعض النحاة على هذين المعنيين للام ، فى حين عدَّ بعضهم للام معانى كثيرة تصل إلى الثلاثين معنى[2]. وذلك من باب الاتساع على مذهب بعض البصريين . قال ابن السراج : " واعلم أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعانى ... "[3] .

من بين هذه المعانى التى ذكروها للام هو معنى التعليل . فتفيد اللام معنى التعليل ، وهى الداخلة على علة الشىء[4] بأن يكون ما بعدها علة وسبباً فيما قبلها .

ومعنى التعليل ظاهر وواضح فى قولى سيبويه والمبرد الآتيين – وإن لم يصرحا به – حيث قال الأول : « وسألته – أى الخليل – عن معنى قوله : أريد لأن أفعل ، فقال : إنما يريد أن يقول : إرادتى لهذا ، كما قال عز وجل : ﴿ وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾[5] : إنما هو أمرت لهذا »[6] .

---

(١) الكتاب : ٢١٧/٤ .

(٢) الجنى الدانى ص ٩٦ : ١٠٩ ، ورصف المبانى ص ٢١٨ وما بعدها والأزهية فى علم الحروف ص ٢٨٧ ومغنى اللبيب بحاشية الدسوقى ص ٢٢١ : ٢٢٢ .

(٣) الأصول فى النحو : ٤١٤/١ .

(٤) حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب : ٢٢١/١ .

(٥) الزمر الآية : ١٢ . (٦) الكتاب : ١٦١/٣ .

وقال الثانى : « وأما قوله : ﴿ وأمرت لأن أكون ﴾ فإنما حمل الفعل على المصدر فالمعنى - والله أعلم - أوقع لى هذا الأمر لذا »[1] .

وقال فى موطن آخر : " وذلك قوله : جئت لأكرمك ، وقوله عز وجل : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾[2] فالمعنى جئت لإكرامك ، ولمغفرة الله لك ما تقدم من ذنبك . حيث حرف الجر لا يدخل على الأفعال ، فالداخلة على الأفعال يكون الفعل بعدها منصوباً بـ " أن " مضمرة وأن والفعل فى تأويل مصدر مجرور باللام .

والآية التى ذكرها المبرد : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم ... ﴾ ذكرها بعض المفسرين أنها لام العاقبة . قال ابن عطية : « المراد هنا أن الله فتح لك لكى يجعل ذلك علامة للغفران لك فكأنها لام الصيرورة »[3] .

ويرى الزمخشرى أنها لام العلة حيث قال : « فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة ، قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهى المغفرة وإتمام النعمة - وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل : يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل »[4] .

فواضح أن الفتح لم يجعل علة لكل من المتعاطفات بعد اللام ، بل لاجتماعها ويكفى فى ذلك أن يكون له دخل فى حصول البعض كاتمام النعمة والنصر العزيز . فالمقصود منها فى كلام الزمخشرى هى العلة الفاعلة لا العلة الغائية الباعثة .

---

(١) المقتضب : ٣٦/٢ .
(٢) المقتضب : ٧/٢ والآية من سورة الفتح الآية : ٢ .
(٣) المحرر الوجيز : ٨٧/١٥ .
(٤) الكشاف : ٤٦١/٣ .

وذلك لأن ما بعد اللام علة وما قبلها معلول إذا نظرنا إلى العلة الغائية ، أما العلة الفاعلة فما قبل اللام هو العلة لما بعد اللام . إذ لا باعث له تعالى على فعل من الأفعال بيد أن المصالح والحِكَم تنزل منزلة الأغراض فيعبر عنها بما يعبر به عن الأغراض ، والتعليل بهذا المعنى لا غبار عليه .

* وقد صرح بمجيء اللام الجارة لمعنى التعليل كثيرون . قال ابن مالك : « اللام للتعليل ... وتساوى لام التعليل معنى وعملاً " كى " .... »[1] .

وذكر الزركشى عند حديثه عن اللام أنها تأتى للتعليل فقال : " ... والتعليل وهى التى يصلح موضعها : من أجل ، كقوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾[2] .

وقال الخضرى : « واللام هى الأصل فى التعليل وما بعدها نائب عنها كالباء ومن وفى » .

وقال ابن هشام أن من معانى اللام معنى التعليل ومَثَّل بدخولها على الأسماء بنحو قول الشاعر : ويوم عقرت للعذارى مطيتى...[4] وقوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريش ﴾[5] وقوله : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ وذكر اختلاف العلماء فى تعلق اللام فى قوله ﴿ لإيلاف قريش ﴾ دون النسبة إليهم فقال : « وتعلقها بـ ﴿ فليعبدوا ﴾[6] ، وقيل بما قبله ، أى فجعلهم كعصف مأكول

(١) تسهيل الفوائد ص ١٤٥ .
(٢) البرهان للزركشى : ٣٤٠/٤ الآية من سورة العاديات آية : ٨ .
(٣) حاشية الخضرى : ١٩٥/١ .
(٤) تمام البيت : فيا عجبا من رحلها المتحمل . قائله إمرؤ القيس بن حجر . وهذا البيت من شواهد شرح التصريح ٣٧١/٢ وأوضح المسالك ٣٧٩/٤ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى : ١٨٩ : ١٩٠ ولسان العرب : مادة عقر .
(٥) قريش آية :١ . (٦) قريش آية : ٤ .

لإيلاف قريش ، ورجح بأنهما فى مصحف أبىّ سورة واحدة ، وضعف بأن جعلهم كعصف إنما كان لكفرهم وجراءتهم على البيت ، وقيل متعلقة بمحذوف تقديره " اعجبوا " ... »[1] .

وقد أفاض صاحب التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب القول فى هذه الآية والنسبة إلى قائلى كل رأى فقال : « أن اللام متعلقة بما بعدها ، أى " فليعبدوا " وهو اختيار سيبويه والخليل والتقدير : " فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش " أى ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها، فإن قيل فلم دخلت الفاء فى قوله : ﴿ فليعبدوا ﴾ ؟ قلنا لما فى الكلام من معنى الشرط ، ذلك لأن نعم الله عليهم لاتحصى ، فكأنه قيل : إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة وهى نعمة ظاهرة »[2] .

وقال الزجاج : قال قوم هذه اللام للتعجب ، وحينئذ فهى متعلقة بمحذوف من هذه المادة . مادة التعجب أو ما يرادفها أى اعجبوا لأمر هؤلاء القوم ألفتُ لهم هاتين الرحلتين العظيمتين تفيض عليهم منهما الخير والرزق على حين القوم من حولهم عجاف مستنون لما تحفيهم من الضنك ، ويؤلمهم من الفاقة ، ومع هذا ينصرفون عن عبادتى إلى عبادة أوثان لا تضرهم شيئا ولا تنفعهم ، وإذا علموا ذلك فليعبدونى وحدى لما أنزلت إليهم من النعم .

غير أن هذا الرأى يحتاج إلى تقدير محذوف بخلاف الأول .

قلت : اللام للتعليل أيضا والتعجب إنما جاء من قوله : اعجبوا ، كأن التقدير

---

(١) مغنى اللبيب بحاشية الدسوقى : ٢٢١/١ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازى : ١٠٥/٣٢ . وقال القرطبى " عمل ما بعد الفاء فيما قبلها لأنها زائدة غير عاطفة كقولك : زيداً فاضرب " انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ٧٢٩١/١٠ .

لأى شيء أعجب لإيلاف قريش . وحذف الفعل وجعل الجار والمجرور متعلقاً به محذوفاً أمر بلاغى عظيم ، لأنه يحمل الإنسان على التفكر والبحث عما يناسب هذا المتعلق ، أو لتذهب فيه النفس مذاهب شتى قد تناسب المقام منها أكثر من واحد . وهى حينئذ بلاغة أخرى فيها جزالة وإيجاز .

وقد درج على هذا الرأى واختاره من أئمة اللغة : الكسائى والأخفش والفراء . (١)

وهناك من يرى أن اللام متعلقة بما قبلها فى السورة السابقة عليها وهو قوله تعالى : ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ (٢) ونسب هذا الرأى إلى الزجاج وأبى عبيدة (٣) مستندين بأن السورتين فى مصحف " أُبَىّ " سورة واحدة ، ولما بين السورتين من ارتباط وثيق فى المعنى . إلا أن هذا الاستناد ضعيف ؛ لأن جعلهم كعصف مأكول إنما كان لكفرهم وجراءتهم على البيت . أليسوا كفاراً معتدين على بيت الله الذى جعله مثابة للناس وأمنا ، يريدون تخريبه وإزعاجا للناس المطمئنين من حوله ... على أن أصحاب الفيل لم يكونوا كافرين فحسب ، وإنما كان منهم عصيان وتمرد ، فكان لابد أن يهلكوا من أجلهما هذا الإهلاك الشنيع حتى يزدجر من عداهم ويعتبر بهم ، وليس هذا بمنجيهم فى الدار الآخرة من العقاب .

وإذا كانت السورتان فى مصحف " أُبَىّ " سورة واحدة ، فالمصاحف الأخرى تفصل كل سورة عن الأخرى . أفيقدم مصحف أبى وهو واحد على المصاحف المتعددة .

---

(١) التفسير الكبير : ١٠٥/٣٢ باختصار وانظر روح المعانى للألوسى : ٢٣٩/٣٠ .
(٢) سورة الفيل آية : ٥ .
(٣) مفاتيح الغيب : ١٠٤/٣٢ وما بعدها وروح المعانى ٢٣٩/٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧٢٩٠/١٠ .

لذلك فإن هذا الرأى لا يخلو من الضعف والاعتراض ، والرد عليه بأكثر من ذلك ممكن لدى علماء التفسير ، فمن شاء المزيد فليرجع لكتب التفسير .

* والذى يظهر لى أن اللام فى الآية الكريمة تفيد معنى التعليل وتعلقها بما بعدها " فليعبدوا " هو الأقرب للصواب . والله أعلم .

* هذا وقد مَثَّل ابن هشام الأنصارى أيضا بدخول اللام على الحروف فى قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ - فى قراءة حمزة - أى لأجل إيتائى إليكم بعض الكتب والحكمة ثم لمجىء محمد - عليه الصلاة والسلام - مصدقاً لما معكم لتؤمنن به . فما فيها مصدرية ، اللام تعليلية وتعلقت بالجواب المتأخر على الاتساع فى الظرف .. »[1] .

وليس معنى أن اللام - وهى حرف جر - داخلة على الحرف " ما " فى الحقيقة ، لأن الحرف لا يدخل على الحرف ، وإنما هى داخلة على المصدر المؤول من " ما " والفعل ، والمصدر المؤول مجرور باللام .

وقال ابن هشام أيضا :" ومنها اللام الداخلة لفظاً على المضارع فى نحو : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ﴾[2] وانتصاب الفعل بأن مضمرة وفاقاً للجمهور "[3] .

فاللام الداخلة على الأفعال يكون الفعل بعدها منصوباً بـ " أن " مضمرة ، و" أن " والفعل فى تأويل مصدر مجرور باللام .

---

(١) مغنى اللبيب بحاشية الدسوقى : ٢٢١/١ .
(٢) النحل آية : ٤٤ .
(٣) مغنى اللبيب : ٢٢١/١ .

قال ابن جنى : " واعلم أن اللام فى نحو قولهم : جئت لأكرمك ، وقوله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ...﴾ إنما هى حرف جر وليست من خصائص الأفعال كـ " لام " الأمر ، ولام القسم وغيرهما ، وإنما الفعل منصوب بـ " أن " مضمرة ، والتقدير جئت لأن أكرمك ، فأن والفعل بعدها فى تقدير المصدر ، والمصدر اسم فكأنه قال : جئت لإكرامك " (١) .

وذكر ابن يعيش ذلك وقال إن هذه اللام - الداخلة على الأفعال - معناها الاختصاص ، والمراد أن مجيئه مختص بالإكرام إذ كان سببه " (٢) .

وقد أرجع المرادى جميع المعانى التى ذكرت للام إلى معناها الأصلى وهو الاختصاص، فقال : "والتحقيق أن معنى اللام فى الأصل هو الاختصاص وهو معنى لا يفارقها ، وقد يصحبها معان أخرى ، وإذا تؤملت سائر المعانى المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص وأنواع الاختصاص متعددة ؛ ألا ترى أن من معانيها المشهورة التعليل . قال بعضهم : وهو راجع إلى معنى الاختصاص ؛ لأنك إذا قلت : جئتك للإكرام دلت اللام على أن مجيئك مختص بالإكرام . إذ كان الإكرام سببه دون غيره .فتأمل ذلك " (٣) .

والذى يظهر لى - فى ضوء ما سبق - أن اللام تجىء للتعليل كثيراًمع ارتباطها بالمعنى الأصلى وهو الاختصاص أو للاستحقاق - وأمثلتها فى القرآن الكريم وأشعار العرب أكثر من أن تحصى . وعلامة كونها للتعليل أن يصح تقدير " من أجل " أو " بسبب " فى موضعها . وهذا لا يمنع من إفادتها معانى أخرى بجانب التعليل ، غايته أنه لابد لها من قرينة صارفة لها لبيان المعانى الأخرى .

---

(١) سر صناعة الإعراب لابن جنى : ٣٣١/١ : ٣٣٢ .
(٢) شرح المفصل : ٢٦/٨ .
(٣) الجنى الدانى للمرادى ص١٠٩ .

لام العاقبة :

وتسمى بلام الصيرورة أو لام المآل نحو قوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ [1] .

ولام العاقبة : هى التى يكون ما بعدها مناقضا ما قبلها [2] ، ويكون مدخولها مترتبا على الفعل قبلها ، عكس لام العلة فإنها ما كان مدخولها مترتباً عليه ما قبلها . [3]

ولك أن تقول : الفرق بين لام الصيرورة أو العاقبة ولام العلة : أن لام العلة تدخل على ما هو غرض لفعل الفاعل ويكون مترتباً على الفعل ، وليس فى لام الصيرورة إلا الترتيب فقط . [4]

فالقائلون [5] بهذه اللام يخرجونها عن معنى الاختصاص الذى هو أصل معناها ويرونها غير لام التعليل .

يقول ابن فارس : " ومن اللامات لام العاقبة . قوله جل ثناؤه : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ وفى أشعار العرب ذلك كثير :

جاءت لتطعمه لحماً ويفجعها ∴ بابن فقد أطعمت لحماً وقد فجعاً

وهى لم تجىء لذلك ، كما أنهم لم يلتقطوه لذلك ، لكن صارت العاقبة ذلك " [6] .

---

(١) القصص آية : ٨ .
(٢) شذور الذهب ص ٩٧ .
(٣) حاشية الدسوقى على المغنى : ٢٢٥/١ .
(٤) الفوائد فى مشكل القرآن للعز بن عبد السلام ص ١٣٨ .
(٥) راجع تسهيل الفوائد لابن مالك ص ١٤٥ ، وشرح الكافية للرضى ٣٠٦/٢ والبحر المحيط : ١٨/١ والجنى الدانى ص ٩٨ ، ومعنى اللبيب بحاشية الدسوقى : ٢٢٥/١ .
(٦) الصاحبى لابن فارس : ص ١٥٢ .

ومن الأمثلة التى كانت فيها اللام للعاقبة قوله تعالى : ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ [1] أى آتيتهم زينة الحياة الدنيا فأصارهم ذلك إلى أن ضلوا . وقد استشهد ابن منظور على مجيء لام العاقبة بأمثلة كثيرة منها : قول الشاعر : (سابق البربرى) :

فللموت تغدو الوالدات سخالها ∴ كما لخراب الدور تبنى المساكن [2]

أى عاقبته ذلك . وقال ابن برى ومثله قول الآخر :

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ∴ ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وهم لم يبنوها للخراب ، ولكن مآلها إلى ذلك .

قال ومثله ما قاله شتيم بن خويل الفزارى يرثى أولاد خالدة الفزارية :

فإن يكن الموت أفناهم ∴ فللموت ما تلد الوالدة

أى لم تلدهم أمهم للموت وإنما مآلهم وعاقبتهم الموت ... " [3] .

وأنكر البصريون ومن تبعهم لام العاقبة . قال الزمخشرى : والتحقيق أنها لام العلة ، وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة " [4] .

وبالرجوع إلى الكشاف وجدت الزمخشرى يقول فى قوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ - اللام فى " ليكون " هى لام كى التى معناها التعليل كقولك : جئتك لتكرمنى سواء بسواء ، ولكن معنى

---

(١) يونس آية : ٨٨ . وقد ذكر ابن هشام أن اللام فى هذه الآية تحتمل معنى الدعاء فيكون الفعل مجزوماً لا منصوباً .

(٢) خزانة الأدب : ٥٢٩/٩ : ٥٣٢ ، وشرح شواهد المغنى ص ١٩٤ .

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة " لوم " ٤١٠٤ .

(٤) مغنى اللبيب بحاشية الدسوقى : ٢٢٥/١ : ٢٢٦ .

التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة ، لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ولكن المحبة والتبنى ، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ، شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذى هو نتيجة المجىء والتأدب الذى هو ثمرة الضرب فى قولك ضربته ليتأدب ، وتحريره : أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لما يشبه الأسد " (١) .

وقال فى قوله تعالى : ﴿ ليضلوا عن سبيلك ﴾ : وقد حملت اللام فى " ليضلوا " على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً فى الضلال كأنهم أوتوها ليضلوا " (٢) .

وبرغم إنكار الزمخشرى للام العاقبة أو الصيرورة ورده كل ما كانت فيه اللام للعاقبة إلى معنى التعليل المجازى ، إلا إننى وجدت فى كشافه ما يفيد بوجود " لام الصيرورة " عنده ، حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ... ﴾ (٣) فإن قلت : ما معنى اللام ؟ قلت : إن كان التزيين من الشياطين فهى على حقيقة التعليل ، وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة " (٤) .

فلست أدرى هل قصد بالصيرورة لام العاقبة التى أنكرها ومال إلى مذهب البصريين ؟ أو أنه قصد بها التعليل المجازى بدليل مقابلتها بحقيقة التعليل .

---

(١) الكشاف : ١٦٦/٣ .
(٢) الكشاف : ٢٥٠/١ .
(٣) الأنعام آية : ١٣٧ .
(٤) الكشاف : ٥٤/٢ .

وقد ذكر الأسنوى أن اللام إذا لم يصح حملها على التعليل كانت للعاقبة ، فقال عند قوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ﴾ [1]

وقول الشاعر :لدوا للموت وابنوا للخراب ....

فإن قيل : لو كانت اللام للتعليل لم تستعمل فيما لا يصح فيه التعليل كقوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم ﴾ فإن جهنم ليست علة فى الخلق .. وكذلك ليس الموت علة للولادة وليس الخراب علة للبناء ، بل اللام هنا للعاقبة ، يعنى : أن عاقبة البناء الخراب ، وعاقبة الولادة الموت ، وعاقبة كثير من المخلوقات جهنم " [2] .

ومن خلال ماسبق ندرك أن اللام تفيد – بعد كونها للملك أو الاستحقاق – أمرين :

الأول : العاقبة أو الصيرورة ، وهو كثير فى لغة العرب ، وبه أتى القرآن فى بعض آياته ، وذكر النحاة شواهده من أشعار العرب وأقوالهم .

الثانى : التعليل المجازى وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين والبصريين ، وأولوا بعض المعانى لنصوص القرآن لإفادتها ماذهبوا إليه .

والله أعلم بالصواب .

---

(١) الأعراف : ١٧٩ .

(٢) نهاية السول للأسنوى : ٦٢/٤ .

الباء ودلالتها علي التعليل :

وضعت الباء فى أصل استعمالها اللغوى لمعنى الإلصاق والاختلاط ، فهذا المعنى تدور حوله الباء ولا يكاد يفارقها كما أكد ذلك سيبويه حيث قال : " باء الجر إنما هى للإلزاق والاختلاط ، وذلك قولك : خرجت بزيد ودخلت به وضربته بالسوط . ألزقت ضربك إياه بالسوط . فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله " (١) .

وقال المالقى : " أن تكون للإلصاق نحو مررت بزيد ، وقدته بعصاه ، وجذبته والجذب بالشعر ، ومنه وصلت هذا بهذا ، أى ألصقته به ، فالإلصاق يكون لفظيا ومعنوياً كما مثل .... وهذا المعنى فى كلام العرب فى الباء أكثر من غيره فيها ، حتى أن بعض النحويين قد ردوا أكثر معانى الباء إليه وإن كان على بعد ، والصحيح التنويع ... " (٢) .

من خلال النصين السابقين يتبين لنا أن الإلصاق هو المعنى الأصلى الحقيقى للباء ، وإن ظهر معنى آخر غير الإلصاق فى الأسلوب جعله سيبويه من باب الاتساع - أى المجاز - ورده بعض النحاة إلى الإلصاق بما فيه من تكلف وبُعْد .

هذا يدعونا إلى القول بأن الباء من الحروف التى اتسع فيها العرب اتساعاً جعل بعض النحاة يصلون بمعانيها إلى أربعة عشر معنى ، لذلك لا يخلو أمر الباء من أن تكون حقيقة فى الإلصاق مجازاً فى غيره من ذلك الغير معنى التعليل أو السبب .

---

(١) الكتاب : ٢١٧/٤ .
(٢) رصف المبانى : ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ .

والضابط لكون الباء تعليلية : أن يصلح فى الغالب أن تحل محلها اللام .[1]

قال السيوطى : " قال ابن مالك فى التسهيل : والتعليل . وقال فى شرحه وهى التى يحسن فى موضعها اللام غالباً نحو ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾[2] ﴿ إن الملأ يأتمرون بك ﴾[3] قال : واحترزت بقولى غالباً من قول العرب : غضبت لفلان إذا غضبت من أجله وهو حى ، وغضبت به إذا غضبت من أجله وهو ميت "[4] .

غير أننى أرى أن المعنى الذى يؤدى بالباء لا يمكن أن يؤدى باللام باعتبار أن كل حرف مرتبط بأصله ، فإذا أدت الباء معنى السببية أو التعليل كان ذلك مرتبطاً بالمعنى الأصلى لها وهو الإلصاق ، وإذا أدت اللام معنى التعليل كان ذلك مرتبطاً بالمعنى الأصلى لها وهو الاستحقاق أو الاختصاص .

والدليل على ذلك قولك : آمنت به وآمنت له . تعدى فعل الإيمان بالباء كما تعدى باللام مما جعل بعض العلماء يقول إن مدلول الفعل وما يؤديه التركيبان لا يختلف معهما . قال أبو حيان : " وقيل آمنت به وآمنت له واحد "[5] .

ولكن هناك فرق بين تعدية الفعل بالباء وتعديته باللام بما ينبىء عن طبيعة الحرفين .

فالباء بما تدل عليه من الملابسة والمصاحبة والإلصاق تخلع على فعل الإيمان

---

(١) الجنى الدانى : ص ٣٩ .
(٢) النساء : ١٦٠ .
(٣) القصص : ٢٠ .
(٤) همع الهوامع : ٢١/٢ وانظر الجنى الدانى ص ٣٩ .
(٥) البحر المحيط : ٣٦٥/٤ .

وجود الأمن فى ظلال من يؤمن به ويلتمس الحماية فى صحبته والطمأنينة فى ملابسته ، فيكون حريصاً على رضاه عاملاً بما يأمره به ، ولذلك فإن الإيمان لا يتعدى بالباء إلا فى الإيمان بالله ورسله وكتبه ، لما أن الإيمان بالرسول هو امتداد للإيمان بالله ،وكذلك الإيمان بالكتب لأن الكتب كلام الله .

أما اللام فإن الفعل يكتسب معها معنى الاستجابة للمصدّق فيما دعا إليه ، والانحياز له فى رأيه أو ما جاء به ، انطلاقاً من طبيعة اللام الدالة على اختصاصه بهذه المزية واستحقاقه للتصديق ، وهو ما لا يكون إلا من بشر لمثله .

فلا يقال :آمن لله ولا لكتبه ،كما يقال : آمن بالله وبكتبه . (١)

وعليه جاء قوله تعالى: ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾(٢) .

وقوله : ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿فما آمن لموسي إلا ذرية من قومه ﴾ (٤) .

وقد كان الزمخشرى أقرب المفسرين إلى لمح هذا الفرق فقال : " فإن قلت : لم عدى فعل الإيمان بالباء إلى الله تعالى ، وإلى المؤمنين باللام ؟ قلت : لأنه قصد التصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به فعدى بالباء ، وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ ما أنباه عن الباء " (٥) .

---

(١) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم : ص٢١١ ، ٢١٢ .
(٢) يوسف : ١٧ .
(٣) المؤمنون : ٤٧ .
(٤) يونس : ٨٣ .
(٥) الكشاف للزمخشرى : ١٩٩/٢ .

وبهذا يتبين لنا أن ما تؤديه الباء من أى معنى آخر غير الإلصاق فهو مرتبط بمعنى الإلصاق - المعنى الحقيقى لها ، وما تؤديه اللام من معنى التعليل وغيره فهو مرتبط بالمعنى الحقيقى لها وهو الاستحقاق .

وقد أغفل كثيرون كون الباء للتعليل . وذكر المرادى ذلك فقال : " ولم يذكر أكثر النحاة باء التعليل استغناء بباء السببية [1] ، ولم يفرقوا بين التعليل والسبب لأنهما عندهم واحد ، ولذلك مثلوا الباء السببية بهذه المثل التى مثل بها ابن مالك للتعليل . [2]

قال أبو حيان : " ولم يذكر أصحابنا هذا المعنى وكأن التعليل والسبب عندهم شىء واحد ، ويدل لذلك أن المعنى الذى سمى به باء السبب موجود فى باء التعليل لأنه يصلح أن ينسب الفعل لمادخلت عليه باء التعليل كما يصح ذلك فى باء السبب ... " [3] .

أما ابن مالك فقد خالف أكثر النحاة ، فهو يرى أن باء السبب غير باء التعليل حيث ذكر أن من معانى الباء : السببية ، والتعليل . [4]

وتبعه الأشمونى فيشرحه الألفية حيث أثبت معنى السببية ومثل له بقوله

---

(١) استناداً على ما ورد فى القرآن الكريم ، لأن القرآن الكريم هو أصل اللغة ، فلما لم ترد الباء التعليلية فى القرآن كثيراً ومعظم ما جاء منه كانت الباء فيه تفيد معنى السببية جعلوا الباء للسببية ، وضابطها : هى الداخلة على سبب الفعل نحو مات بالجوع . بيد أن الفرق واضح بين العلة والسبب ، فالعلة متأخرة فى الوجود متقدمة فى الذهن وهى العلة الغائية والغرض ، والسبب متقدم ذهنا وخارجاً . راجع حاشية الصبان : ٢٢٠/٢ . وقد سبق التفريق بينهما فى بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للباحثة العدد (١٢) .

(٢) الجنى الدانى ص ٣٩ .

(٣) همع الهوامع : ٢١/٢ .

(٤) تسهيل الفوائد : ص١٤٥

تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه ﴾ [1] ، وأثبت معنى التعليل [2] ومثل له بقوله تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ .

وعقب الصبان على ذلك بقوله : " ينبغي إسقاطه - أي التعليل - كما في المغني وغيره لأن التعليلية والسببية شيء واحد كما قال أبو حيان والسيوطي وغيرهما ويوافقه قوله في الكلام على " في" السببية وتسمى التعليلية أيضا " [3] .

قال ابن هشام : " الرابع : السببية [4] نحو : ﴿ إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ ﴿ فكلا أخذنا بذنبه ﴾ ومنه لقيت بزيد الأسد أي بسبب لقائي إياه ، وقوله : - قد سقيت آبالهم بالنار - أي أنها بسبب ما وسمت به من أسماء أصحابها يخلى بينها وبين الماء " [5] .

وسوف أعرض بعض النماذج من ورود الباء السببية في القرآن الكريم وبيان السبب فيها قال تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ فهذه الآية الكريمة تعليل لتحريم ما حرم الله عليهم من طيبات ، فقد أخبرنا الله فيها أنه حرم على اليهود ما حرم بسبب ظلمهم - فالباء للسببية والعلية وهو تنبيه للمخاطبين عن الابتعاد عن الظلم حتى لا يكون سبباً في تحريم ما حرم عليهم .

قال القرطبي : " وقدم الظلم على التحريم إذ هو الغرض الذي قصد إلى الإخبار عنه بأنه سبب للتحريم " [6] .

---

(١) العنكبوت : ٤٠ .
(٢) شرح الأشموني بحاشية الصبان : ٢/٢٢٠ .
(٣) حاشية الصبان : ٢/٢٢٠ .
(٤) وعلق الأمير بقوله : هي بمعنى التعليل .
(٥) مغني اللبيب : ١/٩٧ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن :٦/١٢ .

وقال أبو حيان : " وقوله " فبظلم " متعلق بـ " حرمنا " وتقدم السبب على المسبب تنبيهاً على فحش الظلم وتقبيحاً له وتحذيراً منه " [1] .

فواضح أن الظلم هو سبب التحريم وهو ملاصق أيضا له فأفادت الباء معنى السببية مع الإلصاق .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى .. ﴾[2] الآية .

قال أبو حيان : " ويمتنع أن تكون الباء ظرفية فليس ذلك على حد قولهم زيد بالبصرة ، وإنما هى للسبب ويتعلق بكون خاص لا يكون مطلقاً ، وقام الجار مقام المكون الخاص لدلالة المعنى عليه ، إذ الكون الخاص لا يجوز حذفه إلا فى مثل هذا . إذ الدليل على حذفه قوى إذ تقدم القصاص فى القتلى ، فالتقدير الحر مقتول بالحر أى بقتله الحر ، فالباء للسبب على هذا التقدير ... " [3] .

ومثلها قوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ... ﴾ [4] الآية فالباء فيها للسببية ، ومع إفادتها السببية مرتبطة بأصل استعمالها اللغوى وهو الإلصاق . وفى ذلك يقول العز بن عبد السلام : " الثالث : إلصاق المعنى بالمعنى كقوله : ﴿ النفس بالنفس والعين بالعين ﴾ أى النفس مقتولة بقتل النفس والعين مفقوءة بفقء العين ، أتى بالباء ليكون المسبب وهو

---

(١) البحر المحيط : ٣٩٤/٣ .
(٢) البقرة : ١٧٨ .
(٣) البحر المحيط : ١٢/٢ .
(٤) المائدة : ٤٥ .

القصاص منسوباً إلى الجناية نسبة السببية ، فأشبه ذلك الإلصاق الحقيقى وهو جار فى جميع الأسباب "[1] . فما قيل من معنى السببية فى الباء أرجعه بذلك العز إلى الإلصاق المجازى .

وقال الله عز وجل : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا علي الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾[2] فقوله : ﴿ فأنزلنا علي الذين ظلموا ... ﴾ وضع المظهر وهو الموصول موضع الضمير - أى لم يقل فأنزلنا عليهم - مبالغة فى تقبيح أمرهم وإشعاراً بكون ظلمهم وإضرارهم أنفسهم بترك ما يوجب نجاتها ، أو وضعهم غير المأمور به موضعه سبباً لإنزال العذاب عليهم بسبب فسقهم المستمر : حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل وتعليله إنزال الرجز بهم بعد الإشعار بتعليله بظلمهم للإشعار بأن ذلك فسق وخروج عن الطاعة .[3]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ... ﴾[4] الآية . فالباء للسببية والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم الذى أخذ عليهم فعلنا ما فعلنا بهم من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات التى أنزلناها عليهم .[5]

وقال الأسنوى تعليقاً على قول البيضاوى : " الباء كقوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾[6] أى بسبب الرحمة لنت لهم . قال فى المحصول :

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز ص ٢٥ .
(٢) البقرة : ٥٩ .
(٣) روح المعانى : ٢٦٧/١ بتصرف واختصار .
(٤) سورة النساء : ١٥٥ .
(٥) روح المعانى : ٨/٦ بتصرف وانظر مفاتيح الغيب : ٩٨/٦ .
(٦) آل عمران : ١٥٩ .

وأصلها للإلصاق ولكن العلة لما اقتضت وجود المعلول حصل فيها معنى الإلصاق فحسن استعمالها فيه مجازاً ، وهذا كلام صريح فى أنها لا تحمل عند الإطلاق على التعليل ، وحينئذ لا تكون ظاهرة فيه هذا هو الصواب " [1] .

والخلاصة : إن الباء التى تفيد السببية أمثلتها فى القرآن أكثر من أن تحصى وإنما عرضت لبعض نماذج من الآيات القرآنية التى وردت فيها الباء للسببية مع توضيح أقوال بعض المفسرين فيها ، ذلك لأن المقام لا يتسع لذكرها جميعاً ذاهبة إلى أنها تفيد بجانب السببية معنى الإلصاق فهى مرتبطة بالمعنى الأصلى وهو الإلصاق . وهذا ما أكده سيبويه فى حديثه عن الباء بأن معنى الإلصاق لا يفارقها وإن وجد معها معنى آخر فهو من باب الاتساع وهذا ما اعتقد صوابه . والله أعلم .

---

(١) نهاية السول شرح منهاج الوصول للأسنوى : ٦٣/٤ ط محمد على صبيح - مصر .

" مِنْ " ودلالتها علي التعليل :

الأصل الذى وضعت له " من " هو ابتداء الغاية فى الأماكن وما يقوم مقامها . يقول سيبويه : « وأما " من " فتكون لابتداء الغاية فى الأماكن وذلك قولك من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا ، وتقول إذا كتبت كتاباً من فلان إلى فلان ، فهذه الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها »[1] وتأتى كذلك لمعنى التبعيض كقولك هذا من الثوب ، وهذا منهم كأنك قلت بعضه[2] .

وتكون لبيان الجنس كقولك ثوب من صوف ....

وقد رد صاحب المفصل كل معانى "من " إلى الابتداء فقال : « فـ " من " معناها ابتداء الغاية كقولك سرت من البصرة إلى الكوفة ، وكونها مبعضة ابتداء فى نحو أخذت من الدراهم ، ومبينة فى نحو ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[3] ومزيدة فى نحو ما جاءنى من أحد راجع إلى هذا »[4] .

غير أن بعض النحاة توسع فى ذكر المعانى التى تأتى عليها " من " حتى عدَّ لها خمسة عشر معنى .

من بين هذه المعانى معنى " التعليل " ، فتفيد " من " التعليل . وهذا المعنى أثبته قوم من اللغويين والمفسرين .

قال المرادى : « الرابع :التعليل نحو : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ﴾[5]، ﴿ من أجل ذلك كتبنا علي بني اسرائيل ﴾[6] ﴿ لما يهبط من خشية الله ﴾[7] .

---

(١) الكتاب : ٤/٢٢٤ .
(٢) المرجع السابق : ٤/٢٢٥ .
(٣) الحج : ٣٠ .
(٤) المفصل بشرح المفصل : ٨/١٠ .
(٥) البقرة : ١٩ .
(٦) المائدة : ٣٢ .
(٧) البقرة : ٧٤ .

وقال ابن هشام : « مِنْ تأتى على خمسة عشر وجها ، منها التعليل نحو ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ [1] .

واستشهد ابن مالك على مجيء "من" للتعليل [2] بقوله تعالى : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ﴾ الآية .

وقد سار بعض المفسرين على منوال النحاة فى إثبات معنى التعليل لـ : " من " من خلال تفسيرهم للآيات القرآنية التى استدل بها النحاة .

وإذا كان الزمخشرى يرى أن معانى " من " راجعة لمعنى الابتداء ، فإننا نجد فى الكشاف ما يفيد معنى التعليل لـ " من " حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ مما خطيئاتهم اغرقوا ﴾ لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم »[3] أى بسبب خطاياهم .

ولعل الزمخشرى يقصد – أنهابجانب ما تفيده من تعليل – راجعة إلى معنى الابتداء ذلك أن الله تعالى أراد أن يبين ابتداء ذنوبهم فى قوله : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ كأنه لا مبتدأ لهم إلا هذه الخطايا .

أما أبو البقاء فقد جعل " من " فى الآية الكريمة للتعليل حيث قال : " ما زائدة أى من أجل خطاياهم أغرقوا " [4] وتبعه الطبرسى فى إفادة معنى التعليل فى الآية الكريمة [5] ، وقال أبو حيان " لا يظهر إلا أنها للسبب " [6] .

---

(١) مغنى اللبيب : ١٥/٢ والآية بسورة نوح : ٢٥ .
(٢) شرح الكافية الشافية لابن مالك : ٧٩٦/٢ وانظر شرح الأشمونى : ٢١٢/٢ .
(٣) الكشاف : ١٦٤/٤ .
(٤) إملاء ما من به الرحمن : ٢٧٠/٢ .
(٥) مجمع البيان للطبرسى : ٧٣/٢٩ .
(٦) البحر المحيط : ٣٤٣/٨ .

وإذا كان بعض النحاة استشهد بقوله : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ﴾ على إفادة معنى التعليل لـ " من " فإننا نجد من المفسرين من جعل "من " ابتدائية والتعليل مستفاد من سياق الجملة .

جاء فى تفسير البيضاوى بحاشية الشهاب عند تفسيره لهذه الآية : « أى بسببه قضينا عليهم . وأجل فى الأصل مصدر أجَل شراً إذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم " من جرائك فعلته " ... ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل و"من" ابتدائية متعلقة بكتبنا ، أى ابتداء الكتب وانشاؤه من أجل ذلك " [1] .

وقال صاحب تفسير التحرير والتنوير : « من للابتداء ، والأجل الجراء والتسبب ، أصله مصدر أجل يأجُل ويأجل كنصر وضرب بمعنى جنى واكتسب ، وقيل : هو خاص باكتساب الجريمة فيكون مرادفاً لجنى وجرم ومنه الجناية والجريمة . غير أن العرب توسعوا فأطلقوا الأجل على المكتسب مطلقاً بعلاقة الإطلاق .

والابتداء الذى استعملت له "من " هنا مجازى ، شبه سبب الشىء بابتداء صدوره وهو مثار قولهم « إن من معانى " من " التعليل » . فإن كثرة دخولها على كلمة " أجل " أحدث فيها معنى التعليل ، واستفيد التعليل من مفاد الجملة . وكأن التعليل بكلمة من أجل أقوى منه بمجرد اللام وحدها . ولذلك اختير هنا ليدل على أن هذه الواقعة كانت هى السبب فى تهويل أمر القتل وإظهار مثالبه » [2] .

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على ارتباط معنى التعليل بمعنى الابتداء

---

(١) تفسير البيضاوى بحاشية الشهاب : ٢٧٣/٣ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير : ١٧٥/٦ .

فبرغم من وضوح معنى التعليل وظهوره لا يخلو من معنى الابتداء بحسب دلالة السياق عليه .

وما ورد من أقوال بعض العلماء فى معنى " من " فى قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ﴾ . فقد ذكر السيوطى أن "من" للتعليل فى هذه الآية الكريمة (١) .

وقال الألوسى : « من : فى قوله ﴿ من الصواعق ﴾ تعليلية تغنى غناء اللام فى المفعول له ، وتدخل على الباعث المتقدم والغرض المتأخر ، وهى متعلقة بـ" يجعلون " وتعلقها بـ " الموت " بعيد ، أى يجعلون أصابعهم فى آذانهم من أجل الصواعق " (٢) .

ويتأمل هذه الآية الكريمة نجد أن معنى الابتداء الذى تفيده " من " واضح ، ذلك لأنهم لا يسدون آذانهم بعد الانتهاء من شدة الصوت (وهى الصواعق) ، وإنما يسدون آذانهم عند ابتداء الصواعق خوفاً من أن تقتلهم بشدة صوتها . وكذلك نلمح معنى التعليل فيها .

فالإسراع إلى وضع أصابعهم فى آذانهم من بدء الصواعق لأنها تفضى بصوتها الهائل إلى الموت مع المبالغة ، ذلك ليرسم صورة الحياة القلقلة التى يعيشها المنافقون .

مما سبق بيانه نجد أن " من " إذا أفادت التعليل كانت مرتبطة بالمعنى الموضوع لها فى اللغة وهو " ابتداء الغاية " . لذلك نجد أن بعض النحاة اقتصر

---

(١) الإتقان للسيوطى : ٥٦٣/١ .
(٢) روح المعانى : ١٧٤/١ .

على هذا المعنى ، بل رد أيضا معنى التبعيض أو بيان الجنس إلى الابتداء . وهذا ما ذكره المرادى حيث قال :

« ولم يثبت أكثر النحويين لـ" من " جميع هذه المعانى وتأولوا كثيراً من ذلك على سبيل التضمين أو غيره ، وقد ذهب المبرد وابن السراج والأخفش الأصغر وطائفة من الحذاق والسهيلى إلى أنها لا تكون إلا لابتداء الغاية ، وأن سائر المعانى التى ذكروها راجع إلى هذا المعنى ؛ ألا ترى أن التبعيض من أشهر معانيها وهو راجع إلى ابتداء الغاية ، فإنك إذا قلت : أكلت من الرغيف إنما أوقعت الأكل على أول أجزائه ، فانفصل ، فمآل معنى الكلام إلى ابتداء الغاية . وإلى هذا ذهب الزمخشرى ... »[1] .

والله أعلم بالصواب

---

(١) الجنى الدانى : ص٣١٦ .

" إذ " ودلالتها علي التعليل :

اختلف النحاة فى إفادة " إذ " التعليل . قال ابن هشام : « إذ على أربعة أوجه ، الثالث منها : أن تكون للتعليل نحو قوله تعالى : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ [1] أى : لن ينفعكم اليوم اشتراككم فى العذاب لأجل ظلمكم فى الدنيا » [2] .

وذكر ذلك أيضا – مجيء إذ للتعليل – كل من المرادى [3] والسيوطى [4] ، واستشهدا بنفس الآية الكريمة .

وقال الرضى : « تجيء " إذ " للتعليل نحو جئتك إذ أنت كريم ، أى لأنك ... » [5] ويتساءل ابن هشام عن " إذ " هذه هل هى حرف بمنزلة لام التعليل أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ . ويجيب عن هذا التساؤل بما يؤيد ما يراه أنها حرف يفيد التعليل بقوله : « وإنما يرتفع السؤال على القول الأول » [6] ، وذكر أنه يترتب على جعلها ظرفاً اشكالات فقال : « فإنه لو قيل لن ينفعكم اليوم وقت ظلمكم الاشتراك فى العذاب لم يكن التعليل مستفاداً لاختلاف زمنى الفعلين ، ويبقى اشكال فى الآية وهو أن " إذ " لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين ، ولا تكون ظرفاً لـ " ينفع " لأنه لا يعمل فى ظرفين ، ولا لـ " مشتركون " لأن معمول خبر الأحرف الخمسة لا يتقدم عليها ، ولأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول ، ولأن اشتراكهم فى الآخرة لا فى زمن ظلمهم .... » [7] .

---

(١) الزخرف آية : ٣٩ .
(٢) المغنى : ٧٥/١ .
(٣) الجنى الدانى : ص ١٨٨ .
(٤) همع الهوامع : ١٧٥/٣ تحقيق عبد العال سالم .
(٥) شرح الكافية للرضى : ١٠٨/٢ .
(٦) مغنى اللبيب : ٧٥/١ .
(٧) المرجع السابق : ٧٦/١ .

كذلك أشار السيوطى إلى الإشكالات التى ترد على جعلها ظرفاً حيث لا يجوز إبدال " إذ " من " اليوم " لاختلاف الزمانين ، ولا تكون ظرفاً لينفع لأنه لا يعمل فى ظرفين ، ولا " مشتركون " لأن معمول خبر " أنكم" لا يتقدم عليها... [1]

وقد ذكر أكثر من واحد القول بأن " إذ " التعليلية حرف منسوب إلى سيبويه ، فقال المرادى : « واختلف فى " إذ " هذه ، فذهب بعض المتأخرين إلى أنها تجردت عن الظرفية وتمحضت للتعليل ونُسب إلى سيبويه » [2] .

وذكر السيوطى اختلاف النحاة فى " إذ " هل هى حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى الوقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ ، قولان : المنسوب إلى سيبويه الأول ... » [3] .

وكثيرمن النحاة لا يثبت معنى التعليل لـ " إذ " . قال ابن هشام : « على أن الجمهور لا يثبتون هذا القسم لـ " إذ " ويجردونها من معنى التعليل » [4] وعلى رأس القائلين بذلك : أبو على الفارسى والزمخشرى .

قال ابن جنى – وهو من مؤيدى مجىء إذ للتعليل كما تبين لى بعد ذلك : «طاولت أبا على – رحمه الله تعالى – فى هذا وراجعته فيه عوداً على بدء ، فكان أكثر ما يرد عنه فى اليد – أنه لما كانت الدار الآخرة تلى الدار الدنيا لا فاصل بينهما ، إنما هى هذه فهذه ، صار ما يقع فى الآخرة كأنه واقع فى الدنيا ، فلذلك أجرى اليوم وهو الآخرة مجرى وقت الظلم وهو قوله " إذ ظلمتم " ووقت الظلم إنما كان فى الدنيا فإن لم تفعل هذا وتركبه بقى " إذ ظلمتم " غيرمتعلق بشىء فيصير ما قاله أبو علىّ إلى أنه كأنه أبدل " إذ ظلمتم " من " اليوم " ، أو كرره عليه وهو

---

(١) أسلوب " إذ " فى ضوء الدراسات القرآنية ص ٣١ .
(٢) الجنى الدانى : ص ١٨٩ .
(٣) همع الهوامع : ١٧٥/٢ .
(٤) مغنى اللبيب : ٧٦/١ .

كأنه هو . فإن قلت : لم لا تكون " إذ " محمولة على فعل آخر حتى كأنه قال : « ولن ينفعكم اليوم أنكم فى العذاب مشتركون اذكروا إذ ظلمتم أو نحو ذلك .

قيل : ذلك يفسد من موضعين ، أحدهما اللفظ ، والآخر المعنى . أما اللفظ فلأنك تفصل بالأجنبى وهو قوله " إذ ظلمتم " بين الفعل وهو " ينفعكم " وفاعله وهو " أنكم فى العذاب مشتركون " وأنت عالم بما فى الفصل بينهما بالأجنبى ، وإن كان الفصل بالظرف متجوزاً فيه .

وأما المعنى فلأنك لو فعلت ذلك لأخرجت من الجملة الظرف الذى هو " إذ ظلمتم " وهذا ينقض معناها ، وذلك لأنها معقودة على دخول الظرف الذى هو "إذ " فيها ، ووجوده فى أثنائها »[1] .

فها هو أبو على يرى أن " إذ " فى الآية ظرف وليست حرف تعليل ، وأنكر ابن جنى ما ذهب إليه أبو على مؤيداً مجىء " إذ " للتعليل حيث قال : « ألا ترى أن عدم انتفاعهم بمشاركة أمثالهم لهم فى العذاب إنما سببه وعلته ظلمهم »[2] .

ويرى الزمخشرى أيضا أن " إذ " فى الآية الكريمة ليست للتعليل ، وإنما هى بدل من اليوم باقية على ظرفيتها حيث يقول : « فإن قلت : ما معنى قوله تعالى " إذ ظلمتم " ؟ قلت : معناه إذ صح وتبين لكم ، ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة ، و" إذ " بدل من اليوم ، ونظيره :

إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة

أى تبين أنى ولد كريمة »[3] .

---

(١) الخصائص لابن جنى : ٢/١٧٤ : ١٧٥ .
(٢) المرجع السابق : ٢/١٧٥ .
(٣) الكشاف للزمخشرى : ٣/٢٥٢ : ٢٥٣ ط بيروت .

فمن الواضح أن الزمخشرى استشهد وأتى بنظير للآية فى أنه أبدل ماضى من مستقبل حتى يخرج من الإشكالات التى ترد عليه من اختلاف الزمانين .

والتنظير الذى جاء به الزمخشرى قائم على أن جواب الشرط وهو " لم تلدنى " ماضى فى المعنى ، وإن كان مضارعاً فى اللفظ ، ومضى المعنى جاء إليه من " لم " الداخلة على الفعل المضارع حيث تقلب معناه إلى المضى بعد أن كان صالحاً للحال والاستقبال .

وشىء آخر : وهو أن ولادته حدثت منذ زمن بعيد ، ولاشك أن هذا لا يتفق مع " إذا " التى خصصت للمستقبل . وقد عقب الأستاذ الدكتور / عبد العال سالم على ذلك بقوله : « ولكن : مضى جواب الشرط والولادة التى حدثت فى زمن الماضى البعيد كلاهما ليس مراد الشاعر ، وإنما المراد : أننا إذا تفاخرنا يتبين لنا أننى لم تلدنى لئيمة ، والتبين مستقبل لا ماضى ، وبهذا التأويل صار الجواب مستقبلا كفعل الشرط . والذى دفعنا إلى بيان هذا التأويل هو التزام القاعدة التى وضعها النحويون لفعل الشرط حيث اشترطوا فيه ألا يكون ماضى المعنى ...»[1] .

والذى أميل إليه من خلال ما سبق : أننى لو قلت بحرفية " إذ " وأنها بمنزلة لام التعليل لكان أقرب للصواب ، لأنه فى هذه الحالة نستغنى عن التقديرات المختلفة التى وردت على رأى القائلين بالظرفية والتى يبدو فيها التكلف والبعد وتحميل الألفاظ بما لا تحتمل .

وما دامت " إذ " تؤدى معنى التعليل فإن المناسب أن تكون حرفاً كـ " لام التعليل " وقال الألوسى نقلاً عن الجلبى فى هذه الآية : « وقال الجلبى لعل الأظهر

---

(١) أسلوب " إذ " فى ضوء الدراسات القرآنية والنحوية ص ٣١ ، ٣٢ .

حملها على التعليل . نعم أنكر الجمهور هذا القسم ، لكن إثبات سيبويه إياه يكفى حجة » [1] هذا وهناك من النصوص القرآنية والشواهد الشعرية – غير ما ذكر – وردت فيها " إذ " تعليلية ، أو محتملة للتعليل .

يقول ابن هشام : «ومما حملوه على التعليل : قوله تعالى ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاالله فأووا إلي الكهف ﴾ [3] وقول الشاعر [4] :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم ∴ إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

وقول الأعشى :

إن محلاً وإن مرتحلاً ∴ وإن فى السفر إذ مضوا مهلاً

أى إن لنا حلولاً فى الدنيا ، وإن لنا ارتحالاً عنها إلى الآخرة وإن فى الجماعة الذين ماتوا قبلنا إمهالاً لنا لأنهم مضوا قبلنا وبقينا بعدهم ، وإنما يصح ذلك كله على القول بأن " إذ " التعليلية حرف كما قدمنا » [5] .

وقد نقل الزركشى عن ابن مالك : أنه يرى أن " إذ " تأتى للتعليل ، ومثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلي الكهف ﴾وبقوله تعالى ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ [6] .

---

(١) روح المعانى للألوسى : ٨٣/٢٤ .
(٢) الأحقاف آية : ١١ .
(٣) الكهف : ١٦ .
(٤) ديوان الفرزدق : ١٨٥/١ .
(٥) مغنى اللبيب : ٧٦/١ .
(٦) البحر المحيط للزركشى : ٢٢٥/٥ .

ولعل معنى التعليل واضح فى الآية الأولى من نص ابن هشام ولا يحتاج إلى تأويل حيث المعنى : فلعدم اهتدائهم رموا ما جاءت به الرسل بأنه إفك قديم ، وفى الآية الثانية : تعليل لاعتزال أهل الكهف قومهم واعتزال عبادتهم المتمثلة فى الأصنام [1] .

وفى بيت الفرزدق يقول البغدادى : « إذ فى الموضعين للتعليل » [2] .

أما قول الأعشى : فقد أوضح ابن هشام معنى التعليل فيه .

وفى ضوء ما سبق بيانه نقول : إن " إذ " تأتى للتعليل وتكون حرفاً بمنزلة لام التعليل . وهذا ما اعتقد صوابه .

---

(١) أسلوب " إذ " فى ضوء الدراسات القرآنية والنحوية ص ٣٣ .
(٢) خزانة الأدب للبغدادى : ١٣١/٢ .

"حتي" ودلالتها علي التعليل :

تستعمل " حتى " فى كلام العرب على ثلاثة أوجه : عاطفة وابتدائية وجارة ، والذى يعنينا فى هذا المكان هو : " حتى " الجارة ، وهى إما أن تكون جارة لاسم صريح فيكون معناها : انتهاء الغاية ، وإما أن تكون جارة للمصدر المؤول من " أن " والفعل المضارع – على مذهب البصريين – فيكون لها ثلاثة معان :

الأول : أن تكون لانتهاء الغاية . قال سيبويه : " فأحدهما أن تجعل الدخول غاية لمسيرك ذلك قولك : سرت حتى أدخلها ، كأنك قلت : سرت إلى أن أدخلها[1]..

الثانى : أن تكون للتعليل ، وعلامتها أن يحسن فى موضعها " كى " . قال سيبويه « وأما الوجه الآخر فأن يكون السير قد كان ، والدخول لم يكن ، وذلك إذا جاءت مثل " كى " التى فيها إضمار " أن " وفى معناها ، وذلك قولك كلمته حتى يأمر لى بشىء »[2] .

الثالث : أن تكون بمعنى " إلا " فتفيد الاستثناء ، وعلامتها أن يحسن فى موضعها " إلا أن " .

وقد أورد ابن هشام هذه المعانى لـ" حتى " فقال : " ولـ " حتى " الداخلة على المضارع المنصوب ثلاثة معان : مرادفة " إلى " نحو " حتى يرجع إلينا موسى "[3] ومرادفة " كى " التعليلية نحو قوله تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتي يردوكم ﴾[4] ، ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا علي من عند رسول الله

---

(١) الكتاب : ٣/١٧ .
(٢) المرجع السابق والصفحة .
(٣) طه آية : ٩١ .
(٤) البقرة من الآية : ٢١٧ .

حتي ينفضوا ﴾[1] وقولك : اسلم حتى تدخل الجنة ، ويحتملهما ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتي تفيء إلي أمر الله ﴾[2] ، ومرادفة " إلا " فى الاستثناء ، وهذا المعنى ظاهر من قول سيبويه فى تفسير قولهم " والله لا أفعل إلا أن تفعل " والمعنى حتى أن تفعل .... "[3] .

وأثبت كذلك المرادى [4] ، والمالقى [5] ، والسيوطى [6] وغيرهم مجيء " حتى " بمعنى " كى " فتفيد معنى التعليل .

قال أبو حيان : « والذى ذكره معظم النحويين فى معنى " حتى " هذه أنها تكون للتعليل أو الغاية ، فهى تنصب عندهم على أحد هذين المعنيين »[7] .

وقد سار أكثر المفسرين على منوال علماء العربية حيث ذكروا أن لـ " حتى " الداخلة على الفعل معنى الغاية والعطف والتعليل .

قال العلامة سعد الدين التفتازانى : « حتى الداخلة على الأفعال قد تكون للغاية ، وقد تكون لمجرد السببية والمجازاة ، وقد تكون للعطف المحض ، أى التشريك من غير اعتبار غائية وسببية ، والأول هو الأصل فيحمل عليه ما أمكن وذلك بأن يكون ما قبل حتى محتملاً للامتداد وضرب المدة ، وما بعدها صالحاً لانتهاء ذلك الأمر الممتد إليه ، فإن صلح الصدر أن يكون سبباً للثانى أى للفعل الواقع بعد حتى تكون "حتى" بمعنى كى مفيدة للسببية والمجازاة ، لأن جزاء الشيء

---

(١) المنافقون من الآية : ٧ .
(٢) الحجرات من الآية : ٢١٧ .
(٣) مغنى اللبيب : ١/١١٢.
(٤) الجنى الدانى : ص ٥٥٤ .
(٥) رصف المبانى للمالقى ص ١٨٤ .
(٦) همع الهوامع : ٤/١١١ تحقيق د / عبد العال سالم .
(٧) همع الهوامع : ٤/١١٣ .

ومسببه يكون مقصوداً منه بمنزلة الغاية من المغيا نحو أسلمت حتى أدخل الجنة ، وإن لم يصلح الصدر سبباً للثانى فـ " حتى" للعطف المحض من غير دلالة على غاية أو مجازاة ... »[1] .

وفى ضوء ما سبق من هذه النقول يتبين لنا أن الأصل فى " حتى" أنها موضوعة للغاية أو التعليل أو العطف .

وبالرجوع إلى النصوص القرآنية - قدر الاستطاعة - لم أجد أمثلة مما ذكروه من التعليل المحض لهذا الحرف إلا ماذكره العلامة ابن هشام من نحو قوله تعالى :﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتي يردوكم عن دينكم ﴾ ، وقوله ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا علي من عند رسول الله حتي ينفضوا ﴾ .

كذلك صنيع الزمخشرى من قبله حيث قال عند أولى الآيتين : « حتى معناها التعليل كقولك : فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة ، أى يقاتلونكم كى يردوكم »[2] .

غير أن كلا من الدمامينى والدسوقى فى حاشيتيهما على مغنى اللبيب عقبا على كلام ابن هشام بما يفيد جواز الأمرين - أعنى الغاية والتعليل[3] - فى هاتين الآيتين الكريمتين جوازهما فى الآية التى صرح هو باحتمالهما - أعنى قوله تعالى: ﴿ حتي تفيء إلي أمر الله ﴾ .

ويرى أبو حيان أن "حتى " فى الآية الأولى تحتمل الغاية وتحتمل التعليل ، وعليهما - أى الغاية والتعليل - حملهما أبو البقاء ، وهى متعلقة فى الوجهين

---

(١) التلويح على التوضيح لسعد الدين التفتازانى : ١١٢/١ بتصرف .
(٢) الكشاف للزمخشرى : ١٣١/١ .
(٣) حاشية الدمامينى على المعنى : ١١٢/١ ، وحاشية الدسوقى على معنى اللبيب : ١٣٥/١ .

بـ " يقاتلونكم " ، ونقل قول ابن عطية حيث قال : « وقال ابن عطية ويردوكم نصب بـ " حتى " لأنها غاية مجردة ، وقال الزمخشري و" حتى " معناها التعليل....» [1] .

ويعلق أبو حيان على قول الزمخشري السابق مستحسنا إياه عن رأى ابن عطية بقوله : « وتخريج الزمخشري أمكن من حيث المعنى إذ يكون الفعل الصادر منهم المنافي للمؤمنين وهو المقاتلة ذكر لها علة توجيهاً . فالزمان مستغرق للفعل مادامت علة الفعل ، وذلك بخلاف الغاية فإنها تقييد فى الفعل دون ذكر الحامل عليه ، فزمان وجوده مقيد بغايته ، وزمان وجود الفعل المعلل مقيد بوجود علة ، وفرق فى القوة بين المقيد بالغاية والمقيد بالعلة لما فى التقييد بالعلة من ذكر الحامل وعدم ذلك فى التقييد بالغاية » [2] .

ونهج الألوسى نهج أكثر المفسرين فى أن " حتى " للتعليل حيث قال : « حتى للتعليل والمعنى : ولا يزالون يعادونكم لكى يردوكم عن دينكم ... » [3] .

أما الآية الثانية ﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ فتحتمل التعليل فتكون بمعنى كى يتفرقوا عنه ﷺ لا يصحبوه ، وتحتمل الغاية إلى أن يتفرقوا عنه .

قال الألوسى : « حتى فى الآية للتعليل أى لا تنفقوا عليهم كى يتفرقوا عنه – ﷺ – ولا يصحبوه ، والجملة استئناف مبين لبعض ما يدل على فسقهم ، وجوز أن يكون جارياً مجرى التعليل لعدم مغفرته تعالى لهم ، وليس بشىء ، ولأن ذلك معلل بما قيل يعنى قوله [4]: ﴿ إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [5] .

---

(١) البحر المحيط : ١٤٩/٢ .
(٢) البحر المحيط : ١٤٩/٢ ، ١٥٠ .
(٣) روح المعانى : ١١٠/٢ .
(٤) المنافقون آية : ٦ .
(٥) روح المعانى : ١١٤/٢٨ – ١١٥ .

" لعل " ودلالتها علي التعليل :

أجمع النحاة على أن " لعل " تأتى لمعنى الطمع الإشفاق ، وتأتى لمعنى الترجى وأورد بعضهم معنى التعليل لها .

قال سيبويه : « لعل وعسى طمع وإشفاق »[1] وقال : « وإذا قلت لعل فأنت ترجوه أو تخافه فى حال ذهاب »[2] .

وقال المبرد : لعل معناها التوقع لمرجو أو مخوف نحو : لعل زيداً يأتينى ، ولعل العدو يدركنا »[3] .

وكذلك قال الزمخشرى فى المفصل : « لعل هى لتوقع مرجو أو مخوف ، وقوله تعالى : ﴿ لعل الساعة قريب ﴾ ، ﴿لعلكم تفلحون﴾ ترج للعباد »[4] .

وقد أثبت بعض النحاة معنى التعليل . فقال ابن هشام : « ولها معان : منها التعليل أثبته جماعة منهم الأخفش والكسائى وحملوا عليه ﴿ فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشي ﴾[5] .

وذكر المرادى ذلك حيث قال : «هذا معنى أثبته الكسائي والأخفش ، وحملا عليه ما فى القرآن من نحو ﴿ لعلكم تشكرون ﴾[6]، ﴿ لعلكم تهتدون ﴾[7] أى لتشكروا ولتهتدوا . قال الأخفش فى المعانى : ﴿ لعله يتذكر ﴾ نحو قول الرجل لصاحبه : أفرغ لعلنا نتغذى والمعنى لنتغذى »[8] .

---

(١) الكتاب : ٤/٢٣٣ . (٢) المرجع السابق : ٢/١٤٨ .
(٣) المقتضب :٤/١٠٨ . (٤) المفصل بشرح المفصل : ٨/٨٥ .
(٥) مغنى اللبيب : ١/٢٣٣ والآية بسورة طه : ٤٤ .
(٦) آل عمران من الآية : ١٢٣. (٧) البقرة من الآية :٥٣ .
(٨) الجنى الدانى ص ٥٨٠ .

ونقل الرضى قول قطرب وأبى على حيث أثبتا لـ " لعل " معنى التعليل [1] مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿افعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ [2] أى لتفلحوا .

كذلك زاد ابن مالك [3] فى معنى " لعل " إفادتها للتعليل ، ومثل له بقوله تعالى ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ .

وقال ابن منظور فى " لعل " : « وقد جاءت فى القرآن بمعنى كى » [4] .

وذكر الشيخ مصطفى غلاييني مجيء لعل بمعنى كى التى للتعليل . وجعلوا منه قوله تعالى ﴿ لعلكم تتقون ﴾ ، ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ [5] .

وأورد النسفى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أنها بمعنى لكى تتعظوا أى أنها تعليلية [6] .

وبالرجوع إلى النصوص القرآنية وجدنا أن لفظ " لعل " فى مثل قوله تعالى ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ وغيره جاء أكثر من مائة مرة . والتعليل فيها ذهب إليه غير واحد من النحاة .

ذكر الزركشى أن " لعل " فى قوله تعالى ﴿ اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ للتعليل ، وقال : « فقد استبعدوا أن تكون هنا للترجى لاستحالته على الله تعالى لأنه إنما يكون فيما تجهل عاقبته » [7] .

---

(١) شرح الكافية : ٣٤٦/٢ .
(٢) سورة الحج : ٧٧ وتم تصويبها فى النص الوارد .
(٣) تسهيل الفوائد لابن مالك ص٩١ وانظر شرح عمدة الحافظ : ١٢٢/١ .
(٤) لسان العرب مادة لعل .
(٥) جامع الدروس العربية : ٢٩٩/٢.
(٦) تفسير النسفى : ١٣٠/٣ .
(٧) البحر المحيط للزركشى : ٢٢٥/٣ .

أما بعض النحاة الذين لم يثبتوا معنى التعليل لـ" لعل " ، فقد حملوا كل ماجاءت فيه " لعل " للتعليل على أنها للترجى .

يقول المرادى : « ومذهب سيبويه والمحققين أنها فى ذلك كله – أعنى قوله تعالى ﴿ لعله يتذكر ﴾ أو ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ وخلافه – للترجى ، وهو ترج للعباد . وقوله تعالى : ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر ﴾ معناه اذهبا على رجائكما ذلك من فرعون »[1] .

والذى أميل إليه أن معنى التعليل وارد عن طريق المجاز فيما جاءوا به من نصوص قرآنية ولا ينبغى حمله على الحقيقة ويكفينا أن سيبويه لم يذكر هذا المعنى وحمل الآيات المذكورة – وغيرها كثير فى القرآن – على غير التعليل – أى على معنى " لعل " الحقيقى وهو الترجى . وذلك لأن المعنى المتبادر منها – أى لعل – الذى لا تفيد غيره عند الإطلاق هو التوقع الذى إن كان توقعاً لشىء مكروه سمى إشفاقاً ، وإن كان توقعاً لشىء محبوب سمى ترجياً .

فمثلاً يقال فى قوله تعالى ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أن هذا التذكر من حيث ترتيبه على إنزال الآيات البينات فى سورة النور – مثلاً – حقه أن يفاد بلام التعليل أو بكى ، فلعل مستعملة هنا للتعليل لعلاقة الضدية لاقتضاء السببية تحقيق المسبب عند وجود سببه واقتضاء الترجى عدم تحقيق حصول المترجى »[2] .

وهذا هو الأقرب للصواب . والله أعلم .

---

(١) راجع الجنى الدانى : ص ٥٨٠ والمفصل :٨/٨٥ .
(٢) الفتوحات الإلهية : ١/٢٦ .

" على " ودلالتها على التعليل :

الأصل فى " على " أنها وضعت لمعنى الاستعلاء ، ولم يثبت لها أكثر البصريين غير هذا المعنى ، وجعلوا ما أوهم خلاف هذا المعنى من باب الاتساع .

قال سيبويه : « أما " على " فاستعلاء الشيء ، تقول : هذا على ظهرالجبل وهى على رأسه ... »[1] .

ومن العلماء من أحصى المعانى التى ترد عليها " على " فذكر لها ابن مالك ثمانية معان [2] وعدها ابن هشام تسعة معان . من بين هذه المعانى : معنى التعليل . فتجيء " على " لمعنى التعليل [3] فتكون كاللام . قال ابن هشام : « ومنها التعليل كاللام نحو ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾[4] أى لهدايته إياكم . وقوله[5] :

علام تقول الرمح يثقل عاتقى ∴ إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت [6]

كذلك ذكر الشيخ مصطفى غلاييني أن " على " تأتى للتعليل مستشهداً بما استشهد به ابن هشام ثم قال بعد ذكر البيت : « أى لم تقول »[7] .

وتناول المفسرون الآية الكريمة بالتحليل حيث كثر حولها الجدل فى تعدى الفعل بحرف الاستعلاء وكان القياس تعديه باللام . قال الزمخشرى : « إنما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمناً معنى الحمد ، كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم »[8] .

---

(١) الكتاب : ٤/٢٣٠ ، ٢٣١ . (٢) تسهيل الفوائد ص ١٤٦ .
(٣) الجنى الدانى ص ٤٧٧ . (٤) البقرة آية : ١٨٥ .
(٥) البيت لعمرو بن معد يكرب وهو من شواهد المغنى وشرح التصريح : ٢٦٣/١ والأشمونى بحاشية الصبان : ٢٢٩/٢ وأوضح المسالك الشاهد رقم ١٩٦ .
(٦) مغنى اللبيب بحاشية الأمير : ١٢٦/١ .
(٧) جامع الدروس العربية : ١٧٨/٣ . (٨) الكشاف : ٣٣٧/١ .

فيرى الزمخشرى أن الفعل لما ضمن معنى الحمد عدى بـ " على " .

وقال أبو حيان : « و" على " تتعلق بـ " تكبروا " وفيها إشعار بالعلية ، كما تقول أشكرك على ما أسديت إلى »[1] ، ثم نقل قول الزمخشرى السابق وعقب على قوله : « كأنه قيل : ولتكبروا الله حامدين ... » بإنما هو تفسير معنى لا تفسير إعراب ، إذ لو كان تفسير إعراب لم تكن " على " متعلقة بـ " تكبروا " المضمنة معنى الحمد ، إنما كانت تكون متعلقة بحامدين التى قدرها »[2] .

فالغرض من العدول عن اللام إلى حرف الاستعلاء هو حث المؤمنين على المبالغة فى تعظيم الله تعالى والإكثار من شكره ومداومة الثناء عليه بما يجلل توفيقه لهدايتهم .

وهذا هو ما يشيعه حرف الاستعلاء على مدخوله دون غيره .

---

(١) البحر المحيط : ٤٤/٢ .
(٢) البحر المحيط : ٤٤/٢ .

" عن " ودلالتها على التعليل :

وضعت " عن " فى أصل الاستعمال لمعنى المجاوزة ، وهذا المعنى لم يثبت البصريون سواه [1] . فالمجاوزة من أظهر معانى هذا الحرف وأكثرها استعمالاً .

قال سيبويه : « وأما " عن " فلما عدا الشىء ، وذلك قولك : أطعمه عن جوع جعل الجوع منصرفاً تاركاً له قد جاوزه ... » [2] .

وقال ابن مالك : « دلالة " عن " على التجاوز هو الأصل » [3] .

وقد أثبت لها بعض النحاة معانى أخرى أحصاها ابن هشام فى المغنى ، من بين هذه المعانى معنى التعليل [4] . قال ابن هشام : « جميع ما ذكر لها عشرة معان ... منها التعليل نحو : ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾[5] ونحو : ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾[6] .

وتناول السيوطى الآية الأولى التى استدل بها ابن هشام وذكر أن " عن " فيها للتعليل فقال : « أن " عن " فيها للتعليل والمعنى : لأجل موعدة » [7] .

ونص ابن مالك على هذا المعنى فى التسهيل [8] ، وذكره المالقى فقال : « أن تكون بمعنى " من أجل " نحو قولك : قام فلان لك عن إكرامك وشتمك عن مزاح معك والمعنى من أجل ... » [9] .

---

(١) راجع الجنى الدانى ص٢٤٥ ، وشرح الأشمونى : ٢٢٣/٢ ومغنى اللبيب : ١٢٩/١ .
(٢) الكتاب : ٢٢٦/٤ : ٢٢٧ .
(٣) شرح الكافية الشافية : ٨٠٨/٢ .
(٤) أى أن يكون ما بعدها علة وسبباً فيما قبلها .
(٥) التوبة : ١١٤.
(٦) مغنى اللبيب : ١٢٩/١ والآية من سورة هود : ٥٣ .
(٧) الإتقان للسيوطى : ١٦٤/١ .
(٨) تسهيل الفوائد : ص ١٤٦ .
(٩) رصف المبانى للمالقى : ص ٣٦٩ .

وورد فى لسان العرب مجىء " عن " لمعنى التعليل حيث قال : « وقال – أى ابن السكيت – فى قول لبيد :

لورد تقلص الغيطان عنه ∴ بيك مسافة الخمس الكمال

قال قوله " عنه " أى من أجله »[1] .

وقد وردت نصوص قرآنية أخرى جاءت فيها " عن " لمعنى التعليل ، فى حين يرى البعض أن " عن " لا تخرج عن المعنى الأصلى لها وهو المجاوزة لبيان ما فى النظم الكريم من بلاغة وإعجاز .

قال تعالى: ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾[2] : ذكر أبو حيان أن الضمير فى " عنها " عائد على الشجرة ، وهو الظاهر لأنه أقرب مذكور ، والمعنى : فحملهما على الزلة لسببها ، وتكون " عن " إذ ذاك للسبب ، أى أصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة كقوله تعالى : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾[3] ، ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ وقيل :عائد على الجنة لأنها أول مذكور ، ويؤيده قراءة حمزة وغيره " فأزالهما " ، إذ يبعد فأزالهما الشيطان عن الشجرة ، وقيل : عائد على الطاعة قالوا بدليل قوله : ﴿ وعصي آدم ربه ﴾[4] فيكون إذ ذاك الضمير عائد على غير مذكور إلا على ما يفهم من قوله : " ولا تقربا " ، لأن المعنى : أطيعانى بعدم قربان هذه الشجرة »[5] .

---

(١) لسان العرب مادة " عن " ٣١٤٤ .
(٢) البقرة : ٣٦ .
(٣) الكهف : ٨٢ .
(٤) طه : ١٢١ .
(٥) البحر المحيط لأبى حيان : ١٦٢/١ .

من خلال نص أبى حيان يتبين لنا أنه على عود الضمير على الشجرة تكون " عن " للسبب – أى للتعليل – بينما يرى ابن عاشور أن " عن " فى أصل معناها ، فيقول : « والضمير فى قوله " عنها " يجوز أن يعود إلى الشجرة لأنها أقرب وليتبين سبب الزلة وسبب الخروج من الجنة ، إذ لو لم يجعل الضمير عائداً إلى الشجرة لخلت القصة عن ذكر سبب الخروج ، و"عن " فى أصل معناها أى أزلهما إزلالاً ناشئاً عن الشجرة ، أى الأكل منها ، وتقدير المضاف دل عليه قوله : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ وليست " عن " للسببية ، ومن ذكر السببية أراد حاصل المعنى »[1] .

من نص ابن عاشور السابق نستشعر أن إبقاء " عن " فى أصل معناها اللغوى وهو المجاوزة هو كشف عن بلاغة النظم إعجازه ، أما من جعلها لمعنى السببية أراد بيان معنى فقط .

وبرغم من ظهور معنى التعليل فى نظر بعض النحاة فى قوله : ﴿ إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ والمعنى : لأجل موعدة ، نجد من أبقى حرف المجاوزة على معناه الأصلى . فيقول الدكتور / محمد الأمين الخضرى : إن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى عتاباً لرسوله : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾[2] وهو ما يثير سؤالاً عن سبب صدور الدعاء من ابراهيم لأبيه وهو من المشركين ، فجاء الجواب ينفى أن يكون ابراهيم ناشئاً فى دعائه عن عاطفة الأبوة أو قضاء لحق القرابة ، وإنما صدور دعائه وفاء بما وعد به أباه ، و" عن " تشير فيه

(١) التحرير والتنوير : ٤١١/١ .
(٢) التوبة : ١١٣ .

إلى أنه كان مدفوعاً إلى هذا الدعاء مضطراً إليه ليتجاوز إثم الخلف وتتفادى مغبة الوصف بعدم الوفاء وليس في اللام ما في حرف المجاوزة من الإيماء إلى هذا الغرض [1] .

- كذلك ذكر الألوسي أن " عن " تفيد التعليل في قوله ﴿ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ﴾ فقال : « أي بسبب قولك المجرد عن البينة ، فـ " عن " للتعليل كما قيل في قوله تعالى ﴿ إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ ... وإلى هذا يشير كلام ابن عطية وغيره ، فالجار والمجرور متعلق بتاركي .

وذهب بعض المحققين إلى أنه متعلق بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستتر فيه أي صادرين ، وهو من الصدر مقابل الورد بمعنى الرجوع عن الماء ... والمعنى حينئذ وما نحن بتاركي آلهتنا عاملين بقولك ، والنفي فيه راجع إلى القيد والمقيد جميعاً ، لأنهم لا يتركون آلهتهم ولا يعملون بقوله عليه السلام ، وقيل : إن صادرين بمعنى معرضين ، وهو قيد للنفي ، والمعنى انتفى تركنا عبادة آلهتنا معرضين عن قولك ، ويكون هذا جواباً لقوله : " لا نتولوا " [2] .. » .

والحق أن معنى التعليل فيما ذكر من الآيات القرآنية ظاهر وواضح ، وهذا لا ينفي المعنى الأصلي الموضوعة له " عن " وهو معنى المجاوزة ، ذلك لأن النحاة لما وجدوا أن بعض التراكيب التي عدى فيها الفعل بـ " عن " ليس فيها معنى المجاوزة واضحاً اضطروا إلى تفسير المجاوزة بما يتسع له . فقد قال الصبان : « المجاوزة هي بعد شيء مذكور أو غير مذكور عما بعدها بسبب الحدث قبلها ، فالأول نحو

---

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : ص ٣١٧ .
(٢) روح المعاني : ٨١/١٢ .

رميت السهم عن القوس أى جاوز السهم القوس بسبب الرمى . الثانى نحو رضى الله عنك أى جاوزتك المؤاخذة بسبب الرضا ثم المجاوزة تارة تكون حقيقية كهذين المثالين ، وتارة تكون مجازية نحو أخذت العلم عن عمرو كأنه لما علمت ما يعلمه جاوزه العلم بسبب الأخذ »[1] .

(١) حاشية الصبان : ٢/٢٢٣.

" في " ودلالتها علي التعليل :

الأصل الذى وضعت له " فى " هو معنى الوعاء والظرفية ، ثم ذكر لها بعض النحاة معانى أخرى - مثلها فى ذلك مثل أى حرف جار - يوضع لمعنى أصلى ويغلب مجيئه فى معانى أخرى يتطلبها السياق . وذلك من باب الاتساع إذا قارب المعنى الأصلى الموضوع له فى الاستعمال اللغوى . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مرونة اللغة العربية وسلاستها .

وضعت " فى " للظرفية والوعاء . قال سيبويه : « وأما " فى " فهى للوعاء ، تقول هو فى الجراب وفى الكيس ، وهو فى بطن أمه ، وكذلك هو فى الغل لأنه جعله إذا أدخله فيه كالوعاء له . وكذلك وهو فى القبة وفى الدار ، وإن اتسعت فى الكلام فهى على هذا ، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله »[1] .

فسيبويه يرى أنها للظرفية ، ومجيئها لغير الظرفية بابه الاتساع .

وأورد لها بعض النحاة العديد من المعانى المختلفة من بينها : معنى التعليل والسبب وهى التى يصح فى موضعها لأجل أو بسبب .

قال ابن مالك : « استعمال " فى " بمعنى التعليل ، ومنها قول النبى - ﷺ - « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار »[2] قلت تضمن هذا الحديث استعمال " فى " دالة على التعليل . وهو ما خفى على أكثر النحويين مع وروده فى القرآن العزيز والحديث والشعر القديم .

---

(١) الكتاب : ٢٢٦/٤ وانظر المقتضب : ٤٥/١ ، ٤٦ والأصول لابن السراج : ٤١٢/١ ، ورصف المبانى ص ٣٨٨ ، وحاشية الصبان بشرح الأشمونى : ٢٢٥/٢ .

(٢) صحيح البخارى : ١٤٧/٣ وانظر صحيح مسلم حديث رقم ١٣٣ .

فمن الوارد فى القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾[2] ، ومن الوارد فى الحديث : « عذبت امرأة فى هرة » ، « يعذبان وما يعذبان فى كبير »[3] ، ومن الوارد فى الشعر القديم قول جميل[4] :

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمى ∴ وهموا بقتلى يابثين لقونى

ومنه قول أبى خراش[5] :

لوى رأسه عنى ومال بوده ∴ أغانيخ خود كان فينا يزورها[6] »

يتضح لنا من النص السابق أن ابن مالك من الذين ذكروا معنى التعليل لـ " فى " واستشهدوا لها بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية وشواهد شعرية وقال بمجىء " فى " لمعنى التعليل ابن هشام[7] فى المغنى والمرادى[8] ، وعبر البعض عنه بالسببية . قال الأشمونى : « الثانى السببية نحو ﴿ لمسكم فيما أخذتم ﴾ ، وفى الحديث « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها » وتسمى التعليلية أيضا »[9] .

أما الرضى فهو يرى أن " فى " لا تخرج عن معنى الظرفية حقيقةً أو تقديراً فيقول : « وفى الظرفية إما تحقيقاً نحو زيد فى الدار ، أو تقديراً نحو : نظر فى

---

(١) الأنفال : ٦٨ . (٢) النور : ١٤.
(٣) صحيح البخارى : ٦٤/١ باب الكبائر .
(٤) شرح الحماسة للتبريزى : ٣٠٨/١٠ .
(٥) لسان العرب مادة غنخ : ٣٣٠٥ .
(٦) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ص ٦٧ ، ٦٨ وانظر الجر علم الأسماء : ٢٥٠/١ :٢٥١ .
(٧) مغنى اللبيب : ١٤٥/١ .
(٨) الجنى الدانى ص ٢٥٠ .
(٩) شرح الأشمونى بحاشية الصبان : ٢١٧/٢ : ٢١٨ وانظر شرح التصريح على التوضيح : ١٤/٢ .

الكتاب وتفكر فى العلم وأنا فى حاجتك ، لكون الكتاب والعلم والحاجة شاغلة للنظر والتفكر والمتكلم ، مشتملة عليها اشتمال الظرف على المظروف فكأنها محيطة بها من جوانبها ، وكذا قوله عليه الصلاة والسلام « فى النفس المؤمنة مائة من الإبل » أى فى قتلها ، فالسبب الذى هو القتل متضمن للدية تضمن الظرف للمظروف . وهذه هى التى يقال أنها للسببية »[1] .

وبالرجوع إلى أقوال المفسرين فى معنى " فى " التى وردت فى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نجد أن منهم من نهج منهج بعض النحاة فى إثبات معنى التعليل لـ " فى " ، ومنهم من يرى أنها باقية على ظرفيتها ولا معنى للتعليل فيها وذلك من باب بلاغة النظم وإعجازه – وهو تابع فى ذلك لما يراه الرضى .

قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾[2] .

قال أبو حيان : « فى هنا للسببية أى بسبب القتلى مثل : « دخلت امرأة النار فى هرة » والمعنى أنكم أيها المؤمنون وجب عليكم استيفاء القصاص من القاتل بسبب قتل القتلى بغير موجب »[3] .

وذكر الرازى أنها للسببية أيضا فقال : « وأما قوله " فى القتلى " أى بسبب قتل القتلى ، لأن كلمة " فى " قد تستعمل للسببية »[4] .

وقال الدكتور / محمد الأمين الخضرى فى هذه الآية : « إن الظرفية " أى فى" تدعو إلى تعجيل القصاص وعدم التباطؤ فيه حتى لا يكون التأخر سبباً فى

---

(١) شرح الكافية : ٣٢٧/٢ .
(٢) البقرة : ١٧٨ .
(٣) البحر المحيط : ٩/٢ .
(٤) مفاتيح الغيب : ٥٢/٥ .

دفع أهل القتيل إلى الثأر والانتقام ، ويضيع الغرض من حكمة مشروعية القصاص ، وكأنه يهيب بهم أن يدفنوا القاتل فى جسد القتيل قبل أن يواروه التراب ، مع الإشارة إلى أن القتل الأول أبشع وأفظع لأنه قتل ظلماً ، والثانى قتل عدلاً ، لذلك كان الأول ظرفاً يحتوى الثانى ويشتمله ... »[1] .

وواضح أن الدكتور محمد الأمين يرى أن " فى " باقية على ظرفيتها لما فى ذلك من بلاغة وإعجاز عن إفادتها لمعنى السبب والتعليل .

وذكر الألوسى أن " فى " تفيد التعليل فقال : « كتب عليكم القصاص فى القتلى أى بسببهم على حد إن امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها ، وقيل عدى القصاص بـ " فى " لتضمنه معنى المساواة إذ معناه أن يفعل بالإنسان مثل ما فعل »[2] .

وأجاز فى آية أخرى بقاء " فى " على معناها الأصلى ، وهو الظرفية أو إفادتها لمعنى التعليل فقال فى قوله تعالى ﴿ والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾[3] فـ " فى " على ظاهرها . وفيه إشارة إلى أنها هجرة متمكنة تمكن الظرف فى مظروفه ، فهى ظرفية مجازية ، أو لأجل رضاه ، فـ " فى " كما فى قوله - ﷺ - « إن امرأة دخلت النار فى هرة »[4] .

كذلك ذكر الألوسى أن " فى " فى قوله تعالى ﴿ لولا كتاب من الله

---

(١) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم ص ١٣٤ .
(٢) روح المعانى : ٤٩/٢ .
(٣) النحل الآية : ٤١ .
(٤) روح المعانى : ١٤٤/١٤ .

سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ تفيد السببية والتعليل أى لأجل أخذكم [1] .

بينما يرى الدكتور / محمد الأمين أن هذا الحرف باق على معناه فى هذه الآية وذلك من باب التجوز فقال : « هذه الظرفية – التى قيل إنها للسببية فى قوله تعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق ... ﴾ الآية – هى من التجوز فى الظرف لتصوير شدة غضب الله تعالى حين آثر المسلمون عرض الدنيا على الآخرة ، واختاروا الفداء على القتل ، ولولا سبق الكتاب بأن لا يعذب المسلمين ورسول الله فيهم لحل بهم العذاب وهم غارقون فى أخذ الفداء ، ما يكون فيه ، ولعجل لهم العذاب قبل أن يستمتعوا بآثار ما أخذوه » [2] .

وكذلك ذكر فى الحديث الذى جعل عنوانا لدلالة " فى " على السببية « إن امرأة دخلت النار فى هرة » إنما هو تجوز بالظرفية تصويراً لبشاعة التعذيب وتهويلاً من إثم مرتكبه حتى ولو كان ذلك فى الحيوانات الصغيرة التى لا شأن لها فى نظر الناس ، فما بالك به إذا وقع على الإنسان ... والقول بإن معناه : دخلت امرأة النار بسبب هرة كشف للمعنى ، لا بيان لجمال الصورة وما أشاعه حرف الظرفية فيها [3] .

والذى يبدو لى فى ضوء ما سبق بيانه أن إفادة " فى " التعليل واضح وظاهر ، فقد أفاد الحرف " فى " التعليل والسبب وما ذهب إليه البعض من إفادة الحرف الظرفية – فقط فيه تضييق لمعناه مناقضة لطبيعة اللغة التى تتسم بالمرونة فى مبناها ومعناها . والله أعلم .

---

(١) روح المعانى : ٣٥/١٠ .
(٢) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم ص ١٣٣ .
(٣) المرجع السابق : ص ١٣٥ .

"الكاف" ودلالتها علي التعليل :

ذكر بعض النحاة أن الكاف تأتى فى بعض معانيها مفيدة للتعليل . ولم يثبت البعض الآخر لها غير معنى التشبيه .

ولم يصرح سيبويه بإفادة الكاف لمعنى التعليل بصريح اللفظ ، وإنما يستفاد هذا المعنى من قوله : « وسألته – أى الخليل – عن قوله :كما أنه لا يعلم ذلك فتجاوز الله عنه ، وهذا حق كما أنك هاهنا ، فزعم أن العاملة فى " أن " الكاف و" ما " لغو إلا أن " ما " لا تحذف من هاهنا كراهية أن يجيء لفظها مثل لفظ " كأن " كما ألزموا النون لأفعلن ، واللام قولهم إن كان ليفعل كراهية أن يلتبس اللفظان »[1] .

وذكر ابن مالك فى التسهيل أنه قد تحدث فى الكاف معنى التعليل[2] ، وذكر الأشمونى أن عبارته – فى التسهيل وفى الألفية[3] – تقتضى أن ذلك قليل ، ولكنه قال فى شرح الكافية : « ودلالتها على التعليل كثيرة[4] » .

وتناول ابن هشام معانى الكاف المختلفة بالذكر وكان من بينها معنى التعليل ، فقال : « الكاف المفردة جارة وغيرها ، والجارة حرف واسم ، والحرف له خمسة معان منها : التعليل ، أثبت ذلك قوم ، ونفاه الأكثرون ، وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بـ "ما" كحكاية سيبويه « كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه »

---

(١) الكتاب : ١٠٤/٣ .
(٢) تسهيل الفوائد : ص١٤٧ .
(٣) حيث قال : وبها التعليل قد يعنى . انظرالألفية لابن مالك بحاشية الصبان على شرح الأشمونى : ٢٢٤/٢ .
(٤) شرح الأشمونى بحاشية الصبان : ٢٢٤/٢ .

والحق جوازه فى المجردة من " ما " نحو ﴿ وي كأنه لا يفلح الكافرون ﴾ [1] أى أعجب لعدم فلاحهم ، وفى المقرونة بـ " ما " الزائدة كما فى المثال ، وبـ "ما" المصدرية نحو ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً ﴾ [2] قال الأخفش : أى لأجل إرسالى فيكم رسولاً منكم فاذكرونى . وهو ظاهر فى قوله تعالى [3] : ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ .. » [4] .

من خلال نص ابن هشام السابق يتبين لنا أن مجىء الكاف لمعنى التعليل فيه ثلاثة مذاهب :

(١) الجواز مطلقاً وهذا واضح من قوله « أثبت ذلك قوم » .

(٢) المنع مطلقاً وذلك من قوله « ونفاه الأكثرون » .

(٣) الجواز بقيد أن تكون الكاف مكفوفة بـ " ما " ، ولم يرتض ابن هشام بذلك وقال : « والحق جوازه فى المجردة من " ما " ...» الخ .

كذلك أثبت المرادى معنى التعليل للكاف ، ونسبه للأخفش غيره فقال « التعليل : ذكره الأخفش وغيره وجعلوا منه قوله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً ﴾ قال الأخفش أى : لما فعلت هذا فاذكرونى . قال ابن مالك ووروده للتعليل كثير كقوله تعالى﴿ اذكروه كما هداكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ وي كأنه لا يفلح الكافرون ﴾ أى أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ، كذا قدره ابن برهان ، وحكى سيبويه كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه . والتقدير : لأنه لا يعلم فتجاوز الله عنه » [5] .

---

(١) القصص : ٨٢ .
(٢) البقرة : ١٥١ .
(٣) البقرة : ١٩٨ .
(٤) مغنى اللبيب : ١٥١/١ .
(٥) الجنى الدانى : ص٨٤ .

أما الزمخشرى فيرى أن الكاف للتشبيه ولم يثبت لها معنى التعليل فقال : « والكاف للتشبيه كقولك : الذى كزيد أخوك »[1] وتبعه ابن يعيش فى مجىء الكاف للتشبيه فقال : « أما الكاف الجارة فمعناها التشبيه ، وهى أيضا تكون من الحروف الجارة وتكون اسماً بمعنى مثل ...»[2] .

وذكر المالقى أن الكاف لاتكون إلا للتشبيه [3] ولم يثبت لها معنى التعليل .

وهكذا أثبت بعض النحاة معنى التعليل للكاف ولم يثبته البعض الآخر ذاهباً إلى أنها لا تخرج عن معنى التشبيه .

وبإلقاء الضوء على بعض النصوص القرآنية التي وردت فيها الكاف ، وذكر بعض العلماء أنها للتعليل نحو قوله تعالى ﴿ كما أرسلنا فيكم ... ﴾ الآية نجد أنها تحتمل معنى التشبيه أيضا . وتوضيح ذلك كما يلى :

الكاف فى قوله " كما " إما تتعلق بما قبلها – أى الآية السابقة عليها – وهى قوله تعالى ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾[4] .

وإما أن تتعلق بالآية التى بعدها وهى قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾[5] .

---

(١) المفصل بشرح المفصل : ٤٢/٨ .
(٢) شرح المفصل : ٤٢/٨ .
(٣) رصف المبانى ص .
(٤) البقرة : ١٥٠ . (٥) البقرة : ١٥٢ .

فإذا كانت الكاف متعلقة بالآية السابقة فقداختلف فى تقدير المشبه فقيل [1] : التقدير : (أ) ولأتم نعمتى عليكم إتماماً مثل إتمام الرسول فيكم متعلق الإتمامين مختلف . فالإتمام الأول : بالثواب فى الآخرة ، والإتمام الثانى بإرسال الرسول إلينا فى الدنيا ، أو الإتمام الأول بإجابة الدعوة الأولى لإبراهيم فى قوله ﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ [2] ، والإتمام الثانى : بإجابة الدعوة الثانية فى قوله ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ﴾ [3] .

(ب) وقيل التقدير : ولعلكم تهتدون اهتداء مثل إرسالنا فيكم رسولاً ويكون تشبيه الهداية بالإرسال فى التحقق والثبوت . أى اهتداء ثابتاً متحققاً كتحقق إرسالنا وثبوته .

(جـ) وقيل متعلق بقوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ [4] أى جعلا مثل ما أرسلنا منكم رسولاً ، أى كما أرسلنا فيكم رسولاً من شأنه صفته كذا وكذا ، فكذلك جعلناكم أمة وسطاً . وهذا قول أبى مسلم الأصفهانى .

واستبعد أبو حيان هذا التعلق وذلك لكثرة الفصل المؤذن بالانقطاع [5] .

(د) وقيل الكاف فى موضع نصب على الحال من " نعمتى " أى لأتم نعمتى عليكم مشبهة إرسالنا فيكم رسولاً ، أى مشبهة نعمة الإرسال ، فيكون على حذف مضاف .

---

(١) هذه التقديرات مذكورة فى الكشاف : ٣٢٣/١ ، وتفسير الرازى : ١٤٢/٤ ، والبيان فى غريب اعراب القرآن : ١٢٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٧٠/٢ والبحر المحيط : ٤٤٣/١ ، ٤٤٤ .

(٢) البقرة : ١٢٨ . (٣) البقرة : ١٢٩ .

(٤) البقرة : ١٤٣ .

(٥) البحر المحيط : ٤٤٣/١ .

- ويميل ابن عطية إلى التقدير الأول ويقول معقباً عليه : « وهذا أحسن الأقوال »[1] .

وقد ذكر فخر الدين الرازى فى تفسيره وتبعه القرطبى أن وجه الشبه فى كل ما ذكر واقع على أن النعمة فى أمر القبلة كالنعمة بالرسالة ، لأنه تعالى يفعل الأصلح[2] .

* وإذا كانت الكاف متعلقة بالآية التى بعدها ومنقطعة من الكلام قبلها فيكون التقدير : كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب ، فيكون على تقدير مصدر محذوف ، وعلى تقدير مضاف . أى اذكرونى ذكراً مثل ذكرنا لكم بالإرسال ، ثم صار مثل ذكر ارسالنا . ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وهذا كما تقول : كما أتاك فلان فأته بكرمك . وهذا قول مجاهد وغيره . واختيار الأخفش والزجاج وغيرهما .

والمعنى : إنكم كنتم على حالة لا تقرؤون كتابا ولا تعرفون رسولاً - ومحمد صلى الله عليه وسلم رجل منكم أتاكم بأعجب الآيات الدالة على صدقه فقال : كما أوليتكم هذه النعمة وجعلتها لكم دليلاً فاذكرونى بالشكر أذكركم برحمتى[3] ... .

وعلى هذا الوجه - أى تعلق الكاف بما بعدها - يرى أبو حيان أنه يحتمل بل يظهر ألا تكون الكاف للتشبيه ، وإنما هى للتعليل ، وهو معنى مقول فيها إنها ترد له وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ وقول الشاعر :

لا تشتم الناس كما لا تشتم

---

(١) المحرر الوجيز : ٤٥٣/١ .
(٢) مفاتيح الغيب : ١٤٣/٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٧٠/٢ .
(٣) مفاتيح الغيب : ١٤٢/٤ وانظر البحر المحيط : ٤٤٤/١ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٢٩/٢ .

أى واذكروه لهدايته إياكم ، ولا تشتم الناس لكونك لا تشتم . أي امتنع من شتم الناس لامتناع الناس من شتمك [1] .

- وقد أجاز تاج الدين الحنفى وجه التشبيه ووجه التعليل فى الكاف الواردة فى الآية الكريمة فقال : « كماأرسلنا : تشبيه متعلقه "و لأتم " أى إتماماً مثل إتمام إرسال الرسول إليكم ، أو تهتدون اهتداء مثل ارسالنا ، وتشبيه الهداية بالإرسال فى التحقق والثبوت ، أى اهتداء ثابتاً متحققاً كتحقق إرسال الرسول ، ولو قيل الكاف للتعليل لا للتشبيه لكان سائغاً أى لإرسالنا رسولاً » [2] .

وقال العلامة البيضاوى : « متصل بما قبله أي ولأتم نعمتى عليكم فى أمرالقبلة أو فى الآخرة كما أتممتها بإرسال رسول منكم ، أو بما بعده أى ذكرتكم بالإرسال فاذكرنى » [3] .

وقال الشهاب فى حاشيته على البيضاوى : « اختلف فى هذه الكاف فقيل للتعليل ، وقيل للتشبيه وهو الظاهر ، ولذا اقتصر عليه المصنف - أى البيضاوى - ووجهه الظاهر » [4] .

فى حين أن نص البيضاوى السابق ذكر جواز تعلق الكاف بما قبلها فتكون للتشبيه وتعلقها بما بعدها فتكون للتعليل ولم يقتصر على وجه التشبيه فقط كما ذكر الشهاب فى حاشيته .

- وقد رجح الرازى تعلق " كما " بما قبلها حيث قال : « والوجه الأول أولى لأنه قبل الكلام . فإذا وجد ما يتم به الكلام من غير فصل فتعلقه به أولى » [5] .

---

(١) البحر المحيط : ٤٤٤/١ .
(٢) الدر اللقيط بهامش البحر المحيط : ٤٤٣/١ .
(٣) تفسير البيضاوى : ٢٠٨/٢ .
(٤) حاشية الشهاب : ٢٠٨/٢ .
(٥) التفسيرالكبير (مفاتيح الغيب) : ١٤٢/٤ .

- كذلك معنى التشبيه واضح فى قوله ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ ، فالكاف تفيد التشبيه وإفادتها التشبيه لا تمنع من إفادتها التعليل ، وهذا ما نلمحه من أقوال المفسرين فيما يلى :

قال الزمخشرى : « واذكروه كما هداكم : ما مصدرية أو كافة ، والمعنى واذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة ، أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه »[1] .

وقال أبو حيان : « الكاف فى " كما " للتشبيه وهى فى موضع نصب إما على النعت لمصدر محذوف ، وإما على الحال ، والمعنى أوجدوا الذكر على أحسن أحواله من مماثلته لهداية الله لكم ، إذ هدايته إياكم أحسن ما أسدى إليكم من النعم ... ويحتمل أن تكون الكاف للتعليل على مذهب من أثبت هذا المعنى للكاف فيكون التقدير كما هداكم أى اذكروه وعظموه للهداية السابقة منه تعالى لكم »[2] .

ويرى الألوسى أن الكاف فى الآية لمجرد التشبيه ، ثم ذكر رأى البعض من كونها تعليلية فقال : « واذكروه كما هداكم : أى كما علمكم المناسك والتشبيه لبيان الحال وإفادة التقييد أى اذكروه على ذلك النحو لا تعدلوا عنه ، ويحتمل أن يراد مطلق الهداية ، ومفاد التشبيه التسوية فى الحسن والكمال .أى اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة إلى المناسك وغيرها ، و "ما" على المعنيين تحتمل أن تكون مصدرية ، فمحل "كما هداكم" النصب على المصدرية بحذف الموصوف ، أى ذكراً مماثلاً لهدايتكم ، ويحتمل أن تكون كافة فلا محل لها من الإعراب ، والمقصود من

---

(١) الكشاف : ٣٤٩/١ .
(٢) البحر المحيط : ٩٧/٢ .

الكاف مجرد تشبيه مضمون الجملة بالجملة ، ولذا لا تطلب عاملاً تفضى بمعناه إلى مدخولها ، وذهب بعضهم إلى أن - الكاف - للتعليل وأنها متعلقة بما عندها ، و" ما " مصدرية لا غير ، أى اذكروه وعظموه لأجل هدايته السابقة منه تعالى لكم » (١) .

وإذا كان بعض المفسرين رأى أن الكاف فى الآية الكريمة تفيد التشبيه ، ويجوز أن تفيد التعليل ، فإن صاحب تفسير المنار نص على أن الكاف للتشبيه وليست للتعليل فقال :« أى اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة إذ نجاكم من الشرك واتخاذ الوسطاء كما كنتم فى الجاهلية تذكرونه مع ملاحظة غيره بينكم وبينه لا يفرغ قلبكم له ، وكانوا يقولون فى التلبية : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فالكاف للتشبيه لا للتعليل » (٢) .

مما سبق ذكره نلاحظ أن معنى التعليل ذكره البعض ونفاه البعض الآخر ، وأجاب بعضهم بأنه من وضع الخاص موضع العام ، إذ الذكر والهداية يشتركان فى أمر واحد وهو الإحسان ، فهذا فى الأصل بمنزلة ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ (٣) والكاف للتشبيه ، ثم عدل عن ذلك للإعلام بخصوصية المطلوب » (٤) .

والظاهر أن الخاص هو الذكر والعام : الهداية والأصل اهتدوا كما هداكم ثم عدل عن ذلك العام وهو اهتدوا بخصوصية المطلوب وهو الذكر » (٥) .

---

(١) روح المعانى للألوسى : ٨٨/٢ .
(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا : ٢٣٣/٢ .
(٣) القصص : ٧٧ .
(٤) مغنى اللبيب : ١٥١/١ .
(٥) شرح التصريح على التوضيح ومعه حاشية الشيخ يس : ١٦/٢ .

- كذلك وردت الكاف فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلي أجل مسمي فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ... ﴾[1] الآية للتشبيه كما ذكر أكثر العلماء على اعتبار أن " كما " متعلقة بقوله : " أن يكتب " قبلها . وعليه تكون إما نعتاً لمصدر محذوف والتقدير أن يكتب كتابة مثل ما علمه الله ، ويكون التشبيه بين أن يكتب كتابة وما علمه الله ، وإما أن تكون حالاً من ضمير المصدر والتقدير : أن يكتبه أى الكتب مثل ما علمه الله ، ويكون التشبيه بين كتبه الكتب وما علمه الله »[2] .

وعلى هذا فالمراد بقوله " كما علمه الله " : « مثل ما علمه الله من كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير ، وفى ذلك حث على بذل جهده مع مراعاة شروطه مما قد لا يعرفه المستكتب وفيه تنبيه على المنة عليه بتعليم الله إياه »[3] .

وقد أجاز القرطبى أن يكون الكلام تاماً عند قوله تعالى " أن يكتب " ثم يكون " كما علمه الله " ابتداء كلام . وتكون الكاف متعلقة بقوله : " فليكتب ".

واستبعد أبو حيان ذلك لأجل الفاء فى فليكتب ، ولأجل أنه لو كان متعلقاً بذلك : لكان النظم " فليكتب كما علمه الله " ولايحتاج إلى تقديم ما هو متأخر فى المعنى[4] .

ويرى البعض أن الكاف للتعليل على اعتبار أنها متعلقة بقوله " لا يأب " أو

---

(١) البقرة : ٢٨٢ .
(٢) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين : ١/٢٣٠ .
(٣) البحر المحيط : ٢/٣٤٤ وانظر مفاتيح الغيب : ٧/١١٠ ، ١١١ .
(٤) لبحر المحيط : ٢/٣٤٤ .

بقوله : " أن يكتب " ، وممن قال بكونها متعلقة بقوله " لا يأب " ابن عطية حيث قال : « ويحتمل أن يكون " كما " متعلقاً بـ "ما " في قوله " ولا يأب " من المعنى : أي كما أنعم الله عليه بعلم الكتابة فلا يأب هو وليفضل كما أفضل عليه »[1] .

وقد ذكر هذا الاحتمال أيضا القرطبي[2] . بينما علق عليه أبو حيان بقوله : « وهو خلاف الظاهر وتكون الكاف في هذا القول للتعليل »[3] .

ويجوز أن تكون متعلقة بقوله : " أن يكتب " وتكون للتعليل أيضا ، أي فلأجل ما علمه الله فليكتب[4] .

وغير ذلك كثير من الآيات القرآنية ، بيد أن المقام لا يتسع لذكرها ، والذي يبدو لي أن الكاف تفيد معنى التشبيه إفادة واضحة وظاهرة وهذا هو المعنى الأصلي لها في الاستعمال اللغوي ، ودلالتها على التشبيه ينشأ منه معنى التعليل . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ارتباط المعنى الفرعي وهو التعليل بالمعنى الأصلي وهو التشبيه الذي وضع له الحرف .

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية : ٢٨٧/٢ وانظر البحر المحيط ٣٤٤/٢ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١١٩٣/٢ ط الشعب .
(٣) البحر المحيط : ٣٤٤/٢ .
(٤) المرجع السابق .

أهم المراجع

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى . دار ابن كثير .

(٢) الأزهية فى علم الحروف لعلى بن محمد الهروى تحقيق عبد المعين الملوحى . دمشق سنة ١٩٧١م .

(٣) أساس البلاغة للزمخشرى . مصر ١٩٢٢م .

(٤) أسلوب " إذ " فى ضوء الدراسات القرآنية والنحوية . عبدالعال سالم مؤسسة الرسالة .

(٥) الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطى . ط دار الكتب العلمية .

(٦) الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق د / عبد الحسين الفتلى . ط الثالثة مؤسسة الرسالة .

(٧) إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى ط سنة ١٩٨٢م .

(٨) الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط دار الجيل .

(٩) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام تحقيق محمد محى الدين سنة ١٩٧٩م .

(١٠) البحر المحيط فى التفسير لأبى حيان ط دار الفكر سنة ١٩٨٢م .

(١١) البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى ط وزارة الأوقاف بالكويت .

(١٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى . دارالجيل بيروت .

(١٣) البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الانبارى تحقيق د / طه عبد الحميد مصر ١٩٦٩م .

(١٤) تاج العروس : المرتضى الزبيدى مصر ١٣٠٦هـ .

(١٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (تونس) .

(١٦) التعريفات للشريف بن على بن محمد الجرجانى ط أولى . دار الكتب العلمية .

(١٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات سنة ١٩٦٨م .

(١٨) تفسير البيضاوى بحاشية الشهاب ط دار صادر .

(١٩) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢٠) التلويح على التوضيح لسعد الدين التفتازانى مطبعة محمد على صبيح .

(٢١) جامع الدروس العربية لمصطفى غلابينى . المكتبة العصرية .

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط دار الفكر .

(٢٣) الجر علم الأسماء د / عبد النعيم على محمد ط أولى ١٩٨٩م .

(٢٤) الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى تحقيق د / فخر الدين قباوة . دار الآفاق بيروت .

(٢٥) حاشية الأمير على مغنى اللبيب ط دار احياء الكتب العلمية .

(٢٦) حاشية الخضرى على ابن عقيل : الخضرى مصر ١٣٠١هـ .

(٢٧) حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب . الطبعة الحسينية .

(٢٨) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى . دار صادر .

(٢٩) حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ط الحلبى .

(٣٠) حاشية يس على شرح التصريح ط عيسى الحلبى .

(٣١) خزانة الأدب للبغدادى تحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٨١م .

(٣٢) الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣٣) الدر اللقيط بهامش البحر المحيط لأحمد تاج الدين الحنفى ط دار الفكر سنة ١٩٨٣م .

(٣٤) رصف المبانى فى شرح حروف المعانى للمالقى ت : أ / أحمد خراطة ١٣٩٥هـ .

(٣٥) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم للألوسى . دار إحياء النشر بيروت .

(٣٦) سر صناعة الإعراب لابن جنى تحقيق مصطفيالسقا . ط : ١٩٥٤م .

(٣٧) شرح الأشمونى على الألفية ط الحلبى .

(٣٨) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى . دار إحياء الكتب العربية .

(٣٩) شرح شواهد المغنى للسيوطى . المطبعة البهية ١٣٢٢هـ .

(٤٠) شرح الكافية للرضى . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان .

(٤١) شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق د / عبد المنعم هريدى .

(٤٢) شرح المفصل لابن يعيش . مكتبة المتنبى القاهرة .

(٤٣) شذور الذهب لابن هشام تحقيق محمد محى الدين . دار الفكر بيروت .

(٤٤) شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل للغزالى . مطبعة الإرشاد . بغداد .

(٤٥) الصاحبى : أحمد بن فارس . مصر ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م .

(٤٦) صحيح البخارى . ط مصطفى الحلبى .

(٤٧) صحيح مسلم بشرح النووى . المطبعة المصرية .

(٤٨) الفتوحات الإلهية . حاشية الجمل بتوضيح تفسير الجلالين ط عيسى الحلبى .

(٤٩) الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون مطبعة الخانجى .

(٥٠) الكشاف للزمخشرى ط دار الفكر بيروت .

(٥١) لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف .

(٥٢) مجمع البيان للطبرسى . دار مكتبة الحياة بيروت .

(٥٣) المحرر الوجيز لابن عطية . المجلس الوطنى قطر .

(٥٤) المزهر للسيوطى ط المكتبة العصرية .

(٥٥) مغنى اللبيب لابن هشام ط عيسى الحلبى .

(٥٦) المفصل للزمخشرى بشرح المفصل . مكتبة المتنبى القاهرة .

(٥٧) مفاتيح الغيب للرازى ط دار الفكر .

(٥٨) المقتضب للمبرد تحقيق عبد الخالق عضيمة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٥٩) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم للدكتور / محمد الأمين الخضرى مكتبة وهبة .

(٦٠) همع الهوامع للسيوطى ط دار المعرفة للطباعة والنشر .